تركي الحمد

تركي الحمد

س: لعلني أبدأ مكاشفاتي معك بسؤالك عن هذه المكاشفات بكل قسوتها وشراسة أسئلتها، هل تراها تهدم أم تخدم في ساحتنا الثقافية والفكرية في سياقها النهائي؟

ج: أعتقد أن الاختلاف رحمة، ويجب أن نُفرِّق بين الخلاف والاختلاف، الاختلاف رحمة، وأعتقد أنه يجب أن نتواضع، وعلماؤنا الأوائل عندما كانوا يكتبون المجلد الكبير كانوا يقولون "هذا والله أعلم"؛ فهذا نوع من التواضع، وأنا إنسان مجتهد، إن وصلت للحقيقة فالحمد لله وإن لم أصل إليها فأيضاً الحمد لله ولكن لا أدعي أنني أمسك الحقيقة الكاملة؛ وأسرد لك قصة الفقيه الذي وُجِد يبكي على باب المسجد، وعندما سُئِل عن سبب بكائه قال ما معناه: إنه منذ ثلاثين عاماً يؤمن بقضية معينة واليوم اكتشف خطأها. وقيل له: الحمد لله أنك اكتشفت خطأها. فقال: "ولكنني اليوم أؤمن بقضية أخرى، فمن يضمن لي ثلاثين عاماً حتى اكتشف خطأها؟" فانظر للتواضع. الاختلاف رحمة، وهناك مثال فيل أفلاطون حول مجموعة من الأكفَّاء عندما وُضع أمامهم فيلٌ وسئلوا ما الفيل؟ وبدأ كل واحد منهم يتلمسه، فمنهم من لمس الرأس، ومنهم من لمس الخرطوم، ومنهم من قال: إن الفيل هو الذنب، ومنهم من قال: إنه رجل كبيرة. وبدؤوا يختصمون مع أنه كان كل ما ذكروا، وكل منهم وضع جزءًا من الصورة. من يدعي أن لديه الصورة الكاملة أقول: إنه لا يتمتع بتواضع المخلوق، فلا أحد لديه الصورة الكاملة.

س: إذاً فلأبدأ مباشرة بأول اتهام لك، فالتقلب والتنقل بين المذاهب سمة واضحة عند تركي الحمد، فمرة قومي، ومرة بعثي، ومرة ليبرالي، فعلى ماذا يدل هذا التنقل عند تركي الحمد؟

ج: حكاية التنقل بين المذاهب أقول فيها أنني أولاً أكره التصنيف. فيقال: إن هذا كان قومياً وكان بعثياً وكان وكان، فهذا التنقل يدل على المرونة والتسامح واختلاف

مراحل الحياة والظروف، وأقول: إنه بافتراض أنني في بداية حياتي كنت قومياً ثم اكتشفت انتكاسات وأخطاء في هذا الفكر وتمسكت به بالرغم من ذلك فماذا يعني هذا؟ بلا شك يعني أنني مخلص للوسيلة ولست مخلصاً للغاية، وعليه فعندما تنتقل من مجال إلى مجال فما هو هدفك وما هي غايتك؟ فأنا غايتي الإنسان، وحرية الإنسان، وكرامة الإنسان، ما يخدم هذه الأشياء فأنا أتبعه، ولا أقول: إنني كذا؛ فالإنسان هو المذهب الذي أؤمن به، أما عملية التنقل من قومي إلى غيره فهي ميزة إيجابية وليست سلبية، ولو نظرت إلى كثير من المفكرين الآن لوجدت من كان شيوعياً وأصبح إسلامياً، ومن كان قومياً وأصبح شيوعياً وهكذا. فهذا التنقل دليل مرونة مع ثبات الهدف، وهو الإنسان وفي الأول والتالي نحن ناس وبشر.

س: إذاً تعترف أن في بداياتك الفكرية كنت بعثياً يا د. تركي؟

ج: دعني أقول شيئاً، يجب أن تأخذ المبدأ أو الإيمان بشيء معين حسب الظرف السائد، فعندما تعيش في أواخر الستينيات أو السبعينيات ولا تكون قومياً فيعني هذا أن هناك خللاً في تفاعلك مع محيطك، ومسألة قومي أعتقد أننا كلنا قوميون، والمشكلة أن من أدلجوا القومية تجنوا عليها، فعندما أقول: إنني قومي فذلك يعني أنني عربي، فما الضرر في ذلك؟ ولكن عندما تأتي مجموعة وتحتكر ذلك لنفسها فقط وتقول من عدانا غير قوميين وخونة، فهؤلاء ليسوا قوميين وإنما سميتهم قوميين؛ وذلك للتمييز، بينما في الحقيقة كما قلت لك: إنني لا أحب التصنيفات، ولكن الاحتكار لشيء معين هو الذي يؤدي للمعارك ونفي الآخرين، مثل الإسلام والإسلاميين والإسلامويين، فكلنا مسلمين، ونحب الخير للمسلمين، وهناك أشياء معينة نتفق عليها كلنا، وعندما تأتي مجموعة معينة وتحتكر حق تفسير معين فهذا تجن على الإسلام في اعتقادي أكثر مما تخدمه.

س: على ذكر لفظ " إسلامويون " نلاحظ استخدامك مصطلح "إسلاموية" للتعبير عن الاتجاه الإسلامي في الفكر والسياسة، فلماذا تفعل ذلك مع أن النسب إلى الإسلام "إسلامي" وهو نسب متداول وصحيح؟

ج: أنا عندما طرحت هذا المصطلح - وهو ليس من عندي - كان للتفريق المنهجي، فمثلاً في اللغة الإنجليزية تجد كلمة Muslim وتجد كلمة Islamic وIslamist، والمشكلة أنه لا توجد هذه التفرقة في اللغة العربية، فهناك مسلم وإسلامي، فالإسلامي كلمة قد تطلق على الحضارة الإسلامية والعمارة الإسلامية والفن الإسلامي والفكر الإسلامي وإلى آخره، والمشكلة أن الكلمة أصبحت تطلق على أناس ينتمون لتيار معين وكأنها تحتكر الإسلام لهؤلاء، أو هم يعتقدون أنهم يحتكرون الإسلام، فأنا أدخلت كلمة إسلاموي لترمز إلى كلمة Islamist التي هي مأخوذة من Islamism وليس Islam، فهذه تعني الدين، أما Islamism فتعني التيار الإسلامي السياسي أو التيار الإسلامي المؤدلج، فأنا لا أقدر أن أضع هذه الكلمة ككل، وإسلاموي أُخذت نوعاً من الوصف ولا تعني تقليل من الشأن.

س: تتميز كتاباتك بالجرأة الفكرية والسياسية، فهل هي مجرد شجاعة شخصية أم الأمر من التشعب والسعة الكبيرين، بل دعني أكون صريحاً وأنقل ما يتداول: بأن هذه الشجاعة لم تكن لولا اتكاء الحمد إلى ركن متين، فما هو تعليقك؟

ج: والله صدقني وأنا أقول لك بكل صدق وأمانة إنني لا أعتمد إلا على الله سبحانه وتعالى لا أكثر ولا أقل، ونحن كوننا عرباً لدينا مثل هذه المفاهيم مثل أن فلاناً يتكئ على ركن معين أو أن وراءه قوة معينة، فصدقني هذا ليس موجوداً وإن كان فليكشفوه لي أنا شخصياً وبكل أمانة وصراحة، وليشهد الله على ذلك أنني أنا ظاهراً وباطناً كما أنا عليه، وربما يكون الفرق بيني وبين غيري هو أن ظاهري وباطني واحد، وحكاية أن هناك من أتكئ عليه فصدقني أنه - وعلى حد علمي - لا يوجد. ثم ما علاقة هذا السؤال بذات الفكر؟ فهل هي مناقشة لأفكاري أم محاكمة لشخصي؟

س: إذاً لنتجه يا د. تركي إلى مواقفك الفكرية، الناظر إلى كتاباتك قبل حرب الخليج يجد أنك تسعى على منوال محمد عابد الجابري وأحياناً إلى حد التقليد والاستعارة لأفكاره وصياغتها بأسلوبك الخاص، ولما كتبت أيام حرب الخليج "رمز هوى" غيَّرت الاتجاه، ما الذي يجعلك تتخذ الموقفين، تُمجِّد الجابري ثم تجعله رمز هوى؟

ج: أنا لا أنكر أنني تأثرت بالجابري، ومشروعه في كثير من جوانبه به كثير من الصحة، وكما اتفقنا في الأول فليس هناك من يعطيك الحقيقة المطلقة، فهذا يعطي جانباً وهذا يعطي جانباً آخر.

ولكن عندما جاءت حرب الخليج اكتشفت في الجابري تناقضات المثقف العربي، فهو يطرح شيئاً وفي مقالات أخرى يطرح شيئاً مختلفاً في حرب الخليج، وأنا لا يهمني إذا كان وقف مع العراق أو ضده أو مع الكويت أو ضده - فهذا موقف سياسي خاص به، لكن من يقول هنا ما يناقض ما يقوله هناك فهذا يكشف تناقضاته، وأنه لا ينطلق من أرضية صحيحة، ولا ينطلق من أرضية صلبة، أشياء أخرى اكتشفتها عندما يقرأ الإنسان ويتوسع. نحن عندنا عدم معرفة كبيرة بالثقافة الفرنسية، واكتشفت أن الجابري لم يفعل شيئاً سوى أنه أخذ مشروع الفرنسي دوبريه وهو نقد العقل السياسي وطبقه بحذافيره على التاريخ العربي الإسلامي، وأصبح يحاول لي أعناق بعض الحقائق. عندما أكتشف مثل هذا الشيء ماذا أقول؟ هل أستمر لأني في يوم أيدت أفكاره - ولا زالت لديه آراء جيدة في كتبه وليست مقالاته - وعندما أرى ليه للحقائق وأرى أنه خلال حرب الخليج أصبح يمجد الطغيان بعدما كان يمجد الديمقراطية ويرى ما نرى ويحاول أن يبرره فماذا تريدني أن أفعل؟ فكتبت (رمز هوى) وأنا لست مثل جحا الذي سئل كم عمرك؟ فقال: ٤٠ سنة وسئل بعدها بعد ١٠ سنوات كم عمرك؟ فقال: ٤٠ سنة. فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: أنا رجل والرجل لا يغير كلمته!! فهذه هي مشكلتنا فهناك متغيرات إذا لم نتجاوب معها فهذا مضاد للحياة نفسها.

اتهامات

س: هنا اتهام وأنا متردد في طرحه ولكني أتكئ على أريحيتك وتفهمك، فبعض معارضيك يقولون: إن تركي الحمد من أبرز النجوم المسرحية الذين يمتهنون التسول الفكري، فماذا تقول عن هذه المقولة وما هو تعليقك؟

ج: نحن لم يضيعنا شيء مثل ما ضيعتنا هذه الكلمات الكبيرة مثل التسول الفكري والكلام الذي يلقى على عواهنه، وإذا كان الإنسان يقف ليرد على مثل هذا الكلام فلا يمكنه أن ينتج أو يقدم شيئاً، والرسول صلى الله عليه وسلم - وطبعاً لا أحد يقارن بالرسول - اتهم بالجنون، وقالوا وقالوا، وأنا مقتنع بأنه لا يبقى في النهاية إلا ما ينفع الناس، وإذا كان كل كلامي عبارة عن تسول فكري وعمالة لآخرين فهو زبد، والزبد يذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس، بكل بساطة ثم إذا كان ما أطرح مجرد تسول فكري فلماذا كل هذه الخشية منه طالما أنه مجرد تمثيل مسرحي؟

س: أنت مهاجم من تيارات عدة بسبب شخصيتك (المتحولة) القلقة، ففي أول مشاركة لك في صنعاء حيث تعرضت لنقد قوي من حسن حنفي وغيره وهكذا في لقاء الجنادرية فكيف تُفسِّر ذلك؟

ج: قبل أن أفسره أقول إن هذا الكلام حدث فعلاً عام ١٩٨٨م في صنعاء، أنا انتقدت الفكر القومي الكلاسيكي، وقام من سميتهم في أحد الأوراق بكهنة المعبد بشكل أو بآخر فماذا حدث؟جاء عام ١٩٩٠م وأثبت الكلام الذي ذكرته وهو أن القومية بمعناها الكلاسيكي اتخذت كوسيلة لتبرير أشياء كثيرة لا علاقة لها بالعرب ولا بالقوميات، وهذا هو ما حدث، وحكاية أن أفسر أنني قلق فيجب أن أكون كذلك. فإن لم تكن قلقاً فأنت لست مثقفاً. أتذكر بعد سقوط الاتحاد السوفيتي قابلت أحد رموز الحزب الشيوعي القدماء في مصر وتكلمنا عن الاتحاد السوفيتي وهو غير مصدق أنه قد سقط، فكنا نتكلم عن عملية تحليل

موضوعي مثل الأسباب الاقتصادية والأسباب الإيديولوجية وغيرها، فكان الشيوعي مصراً على أن الاتحاد السوفيتي موجود، فقلنا له: انظر حولك فقال لي: " يا راجل خليني أعيش الكم سنة الباقين دول على قناعاتي، ما تخضنيش". فهو لا يريد القلق، ولو كنا شخصيات قلقة لأنتجنا الكثير في هذا العالم، والمشكلة أننا لسنا قلقين، وليست العلة أن أكون قلقاً إنما العلة هي أن الآخرين غير قلقين.

س: هذا عن حسن حنفي فماذا عن فؤاد زكريا الذي قال عنك في ندوة الكويت قبل سنتين إنك مناضل بلا قضية، وآخرون يقولون بأنك تكافح في غير ميدان أصلاً ودون أي رؤية فما هو تعليقك؟

ج: هو قال ثائر بلا قضية. فالأشياء التي أعتقدها هو أن من لا يريدك يبحث هنا وهناك عن أي كلمة قيلت ضدك، ولكنه يغفل ما قيل لصالحك. فؤاد زكريا انتُقد كثيراً - وربما من هذا السائل نفسه - بأنه علماني، وأنه ينادي بالفكر الغربي، ولكن عندما تكلم هذه الكلمة ضد تركي الحمد أصبح صادقاً، فهنا المشكلة؛ وهو أننا لا نأخذ الكل ولكن نبحث ونجزئ وندوِّر. محبك يبحث لك عن المدح، ومن يكرهك يبحث لك عن الذم، ولكن أين الموضوعية؟ وأنا أعتقد أن فؤاد زكريا عندما قال هذا الكلام فهذا رأيه لأنني هاجمته، ولأنني في مهرجان القرين في الكويت - وكان لي بحث عن النخبوية في الثقافة العربية - تحدثت عن المثقفين العرب، ووصفتهم بأنهم نخبويون ويتحدثون فيما بينهم ولا علاقة لهم بالشارع ولا بالناس ولا بالحركة الفعلية للمجتمع، فهم يتحدثون بمصطلحات وكلمات وأشياء فيما بينهم، وأنا انتقدت ذلك، ولأنه يعد من كبار المثقفين العرب فقد شعر أنني جرحته شخصياً، فكان لا بد أن يرد، وقال: إنني ثائر بلا قضية بالرغم من أنه لا يعرفني قبل ذلك، فكيف حكم علي بأنني ثائر بلا قضية من خلال بحث واحد؟ فهذا يدل على أشياء معينة، وهذه الكلمة قيلت، وكثيرون رفضوا هذه المقولة،

والكثيرون قبلوها، وهي حكم لفؤاد زكريا ولا تعني أنها حكم صحيح، ولا تعني أنها حكم خطأ فهي وجهة نظر. موقفي هنا مشابه لموقف بعضهم حين ينتقدون كل شيء في الغرب، لكن ما إن تذكرهم صحيفة غربية مجهولة حتى يبادروا إلى التصفيق طرباً.

س: هناك مشاريع فكرية معاصرة حظيت بالكثير من الاهتمام مثل مشروع الجابري في نقد العقل العربي ومشروع حسن حنفي من العقيدة إلى الثورة؛ ودعوته لليسار الإسلامي، ومشروع أركون الذي يعدُّه بعضهم استشراقاً من الداخل أو بعبارة أخرى نقد التراث من خلال مناهج غربية (الألسنية) بالتحديد، فما هو تقييمك لتلك المشاريع بصورة مختصرة؟

ج: عندما يقال " مشروع " أندهش؛ لأن ما حطم العرب إلا المشاريع الضخمة، ودائماً ما يأتي أحدهم فرداً أو تيارًا أو حزباً أو دولة وتأتي لتضع مشروعاً كبيراً، كيف نستطيع أن ننهي الجهل مرة واحدة وننتقل إلى القمة بعصا سحرية؟ بدأ الإنسان يخشى من المشاريع لأن المشروع يحاول أن يطرح وصفاً لمدينة مثالية حسب رأي قائله. هذه المدينة المثالية لا يمكن مهما كانت أن تستوعب اختلافات الحياة أو متغيرات الحياة؛ فالله - سبحانه وتعالى - عندما أهبط آدم من الجنة كانت له حكمة معينة، وقد سألته الملائكة: لماذا، ونحن نسبح لك ونقدسك؟ فقال: إني أعلم ما لا تعلمون. فمهمة الإنسان هي إعمار الأرض، وهو ما يحتاج للاختلاف ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض**... الآية﴾ فهذا التدافع هو الذي يؤدي لإعمار الأرض. وبالرغم من الشرور فهو يؤدي لأشياء كثيرة.

عندما تنظر لحركة الحياة بهذا الشكل فلا يمكن لمشروع واحد أن يستمر إلا صاحب المشروع الأزلي نفسه وهو الله عز وجل؛ لذلك فأنا أخاف مثل هذه المشاريع؛ لأن هذا يضع مدينته المثالية وذاك أيضاً، وكل واحد يتصارع مع الآخرين صراع موت أو حياة، وهذا يدمر الحياة.

إذن أقول لك هذا موقفي من هذه المشاريع مثل مشروع الجابري أو حسن حنفي وغيره سواء كانت سياسية أو ثقافية أو خلافهما. أهم شيء أن تترك الإنسان يتحرك بملء إرادته.

س: هل هذا هو السبب في عدم وجود مشروع لتركي الحمد ليطرحه على الساحة؟

ج: قلت لك في بداية كلامي إن مشروعي الأساسي والأوحد هو الإنسان وحريته وكرامته، وهذا هو المهم، وكافة الأشياء الأخرى وسائل لغاية واحدة هي الإنسان.

*****

أين البديل

س: في كتاب "الثقافة العربية أمام تحديات التغيير" شننت هجوماً عنيفاً على ثقافتنا الذاتية، ولأكن أكثر تحديداً ثقافتنا العربية الإسلامية، ولكنك لم تقدم البديل، فما هو تفسيرك لذلك؟

ج: لست أنا من يقدم البديل، بل علينا نحن أن نقدمه. عندما تذهب إلى طبيب فأهم ما يجب عليه معرفته هو العلة نفسها، وبعد ذلك يبحث عن العلاج الأمثل، وهل هو عملية جراحية أم أدوية تؤخذ، فأهم شيء هو الوصف، ومشكلتنا في اعتقادي أننا طوال الوقت نراوح مكاننا وندور في حلقة مفرغة ونخشى من انتقاد ما يجب انتقاده، لماذا؟ أشياء كثيرة في تاريخنا وضعت فيها حساسيات ما كان يجب أن توضع وجعلت من المقدسات وهي ليست كذلك، فالإنسان يولد بالفطرة عندما يولد في هذا المجتمع أو في أي مجتمع مسلم آخر، ويكبر وينمو، فهو يعرف تلقائياً أن المقدسات هي كتاب الله وسنة رسوله، أما الأشياء الأخرى فقد أصبح كل فريق بما لديهم فرحون، وكل واحد يحاول أن يجعل مبادئه مقدسات ولا يجب الاقتراب منها، وقد حدث هذا في التاريخ. ابن تيمية مثلاً الذي نقدس أقواله كان مُحَارباً في زمان من الأزمنة، وكان يعد خارجاً عند

بعضهم، وفي النهاية ما الذي فعلنا؟ أصبحنا نمارس الشيء نفسه مع ابن تيمية، وصار ما يقوله ابن تيمية كأنما قاله الله أو الرسول، وعندما أقول مثل ذلك يقال لي أنت علماني!! يا سيدي الفاضل ابن تيمية رجل مجتهد وعلى العين والرأس وهو من السلف الصالح، وعندما اجتهد في أيام غزو التتار وغيرهم كان يحاول، وكانت أقواله في ظرف معين، فلماذا أتمسك بها بعد تغير الأحوال. أبو حنيفة النعمان عندما كان يخطئ في فتوى كان يرسل مناد بالأسواق ويقول إنني أخطأت بالفتوى، الشافعي فقهه في العراق يختلف عن فقهه بمصر، فهل يقال إنه متهافت؟ لا أعتقد ذلك، والإمام ابن حنبل، كذلك وأعتقد أن المذهب الحنبلي هو أسهل المذاهب ولكن بعض الناس صعبوه. فمثلاً هذا المذهب يقول لا حرام إلا بنص. ما يحدث حالياً هو العكس بالنسبة لابن حنبل وغيره.

يا سيدي الكريم، عظمة الإسلام في بساطته، وهو دين الفطرة وهو واضح، بُني الإسلام على خمس وبُني، ﴿**قل تعالوا أتل عليكم ما حرم الله**﴾ الأصل في الأمور الإباحة. أمور بسيطة ولكن يأتي بعض الناس ليعقدها ويدخل فيها أشياء غريبة.

س: ننتقل يا د. تركي إلى بعد آخر، فحضورك القوي في مجال الفكر لا يقابله حضور مثله على المستوى الاجتماعي، فلماذا؟ وهل أنت من دُعاة العزلة الفكرية مثلاً أم أن المجتمع متخلِّف وعامي مثلاً؟

ج: لم أفهم معنى الحضور الاجتماعي؟

س: أعني على المستوى الاجتماعي، كتاباتك نخبوية ولم تستطع أن تؤثر في رجل الشارع؟

ج: وهل لديك إحصائية بذلك؟ وعلى أية حال أتفق معك في هذا إلى حد كبير، فما نطرحه من أفكار لا يقرؤه غير النخبة؛ ولذلك ألجأ للمقالة؛ فعندما أكتب بحثاً معيَّناً فأنا أعرف الجمهور الذي يخاطبه البحث، وعندما أكتب المقالة أو الرواية

فـأعـرف من أخـاطبـه، وهذا الكلام صـحـيـح، وفي النهـاية الإنسـان يفـعل مـا يستطيعه، إن لم أستطع أن أصل للقاعدة الاجتماعية فماذا بوسعي أن أفعل؟

س: دعني أضرب لك مثلاً بغازي القصيبي الذي استطاع اختراق شرائح كبيرة عبر الرواية والشعر ونشاطه المتعدد، بينما لم يستطع تركي الحمد ذلك؟

ج: الدكـتـور غـازي شـاعـر قـديم، وكـتـب أشـيـاء من الشـعـر ذي الطابع العـربي، والكل يقرؤه، وبالتالي انتشـر، فلا تقـارنني بغازي القـصيبـي؛ لأنه أقدم مني بكثير، وفي كثير من الأحيان طرحي مختلف عن طرح الدكتور غازي، فهو أديب حصراً، ومنذ البداية والأديب يصل للناس بشكل أسرع وأيسر، ولكن يختلف الأمـر عندما نكتب بحثاً أو عمل فكرياً.

س: هل ترى أن الإعلام خذلك ولم يلتفت إليك ولا إلى طروحاتك؟

ج: دعني أقول لك إنني لو قلت (لا) فسيقولون هذا يحاول أن يستميل الإعلام وأنا لا أريد الدخـول في مـهـاترات، ولكن أقـول إن الإعـلام عندنا لا يخـدم المثـقف السعودي ولا المفكر السعودي، ولو كان المفكر أو الأديب في بلد مثل مصر لوجدنا أن الإعـلام المصري يحاول أن ينشره في العالم العربي بشكل أو بآخر. مشكلتنا أن الإعـلام عندنا لا يلتـفت للمـفكر على الإطلاق، ولو كـان لاعب كـرة قـدم أو شخصية معينة من الممكن، ومشكلتنا أننا نُسأل لماذا لا ينتشر فكرنا في العالم العربي؟ والإجابة هي: لأنك لا تخدمه إعلامياً، وفي كثير من الأحيان نجد أسماء معينة في الملتقيات، فهي التي تروح وتأتي بينما لا يتوفر ذلك للآخرين بالرغم من أن الفكر والأدب يشكلان أبسط وأرخص دعاية للوطن لكنه لا يُفعل.

س: في كتابك "عن الإنسان أتحدث" لم تستطع أن تُعرِّف الإنسان الذي تتحدث عنه ومـا هي هويته ومـا هـي رؤاه وأحـلامـه، أو أن أفـهـامنـا عـجـزت عن الوصـول لما تهدف إليه، فهلا أوضحت ماذا تريد؟

ج: الإنسان الذي أتحدث عنه هو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم عندما قال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ولم يقل مسلماً ولا مسيحياً ولا يهودياً إنما الإنسان الفاعل هو خليفة الله في الأرض بغض النظر عن دينه، لماذا؟ لإعمار الأرض، والغرض الرئيس من خلق الإنسان هو إعمار الأرض، فالإنسان بكل مفاسده ومساوئه وشروره يقوم بدوره على الأرض. الإنسان الذي أتحدث عنه هو الذي خلقه الله، وليس هناك تعارض بين الإسلام والإنسانية بالرغم من أن بعض الناس يحاول أن يخلق هذا التعارض فيجعلنا في حالة شقاق.

*****

عصر النهضة

س: هل نحن اليوم في حاجة إلى التنظير دون الفعل أم نحن بحاجة إلى فعل يبلور ما نظَّرنا له كثيراً منذ النهضة وحتى اليوم ولم نره واقعاً في حياتنا حتى الآن؟

ج: ومن قال لك: إن تنظيرنا منذ النهضة وحتى الآن كان تنظيراً سليماً؟ التنظير الذي لا يكون نابعاً من أرض الواقع لا أعتقد أنه تنظير سليم. فمثلاً أن تأتيني بمقولات من الزمان السحيق وتأتي بمقولات فلان وعلان من بلادنا أو من حضارتنا حتى وتأخذها على علاَّتها أو إمكانية أخذ الأقوال من الشرق والغرب فأعتقد أن هذه غربة زمانية وغربة مكانية؛ فالتنظير السليم هو الذي ينطلق من آليات المجتمع، وأبرز مثال على ذلك أنه منذ عهد ما يسمى بالنهضة وحتى الآن نظَّرنا وتكلمنا لماذا تخلف المسلمون والعرب فما الذي جرى؟ لا شيء، فذلك مجرد تنظير لا علاقة له بالواقع، ودراسة علمية حقيقية واحدة في علم الاجتماع تغني عن ألف أو مليون بحث تنظيري لا علاقة له بالواقع. نحن لم ننظِّر تنظيراً سليماً، ويجب أن نفعل ذلك كي نستطيع أن نفعل ما هو سليم. فعل دون نظرية يعني سير بالعمى، وهو مجرد فعل، ونكون كمن يسير في غرفة مظلمة، فلدينا

نقص في النظرية والعمل يجب أن نحدد ماذا نقصد به، فإن كنا نقصد العمل كما تطرحه التيارات السياسية والأحزاب فهذا ليس عملاً، والعمل هو أن يعرف كل إنسان مكانه ويفعل ما يتوجب عليه.

س: إذاً ما الذي نستطيع أن نفعله حيال ذلك، ما هي الخطوات الأولى؟

ج: أن نبدأ بالمنهج السليم. أن نعرف مجتمعنا بالضبط، ونعرف حركته وآلياته، وماذا يريد. حتى ديننا فنحن لا نفهمه فهماً جيداً، فإما أن نكون مغالين أو نكون مفرطين في أشياء أساسية. النقطة المهمة في فهم المجتمع كما هو.

*****

لماذا تكتب

س: هل تحمل رسالة معينة تريد التبشير بها وإيصالها للناس من خلال كتاباتك؟ أم أنت تكتب للكتابة فقط؟

ج: أكذب إذا قلت لك إنني لا أجد متعة في الكتابة، فأنا أجدها دون شك، وأحياناً يشعر الإنسان أن هناك أشياء تعتمل في داخله ولا يرتاح إلا إذا أخرجها، لكن الكتابة من أجل الكتابة فقط، وعلى إطلاق الكلمة فأنا أعتقد أن ذلك فعل عبثي، وقد كنت أفعل ذلك في السابق، حيث كنت أكتب وأضع ما أكتبه على الدرج دون أن أنشره، وكنت أشعر بالمتعة، ووجدت أنني أريد أن أتشارك بهذه الأشياء مع الآخرين ولا أقول: إن لدي رسالة أبشر بها وما إلى ذلك من مثل هذه الكلمات الكبيرة، فأنا أخاف المشاريع الكبيرة والكلمات الكبيرة. لدي رأي وأريد أن يشاركني فيه الآخرون سواء بالإيجاب أو بالسلب، وإن كانت هناك رسالة ما فهي تبرز من خلال ذلك.

س: هل كتاباتك تُمثِّلك و تُمثِّل فكرك الحقيقي؟ أم أنك تكتب تعبيراً عن آمال الناس وآلامهم؟

ج: أنا جزء من الناس، وعندما أتألم أشعر أن هناك آخرين يتألمون، وعندما أسعد أشعر أن هناك آخرين يسعدون، وعندما أكتب لا أشعر أنني أُعبِّر عن الناس وليست مهمتي أن أُعبِّر عنهم، فأنا لست زعيماً سياسياً ولا أي نوع من الزعامات. أنا إنسان محب لوطني ومحب لأهلي، وأحاول أن أُعبِّر عن ذلك. هذا هو الأمر ببساطة.

*****

القصيبي والتخصص

س: أُخِذ على غازي القصيبي دعوته الشهيرة للتخصص إبان حرب الخليج وكانت تلك المعارك الضارية التي بكتت عليه كتاباته في الشعر والرواية والسياسة والاقتصاد... إلخ، كيف ترى دعوة التخصص هذه، ولتسمح لي أن أسقط ذلك التبكيت على الحمد وأسألك هل هو مفكر أم كاتب صحفي أم روائي أم محلل سياسي أم ماذا؟

ج: لا تسألني هذا السؤال بل اسأله لابن الجوزي وابن حزم وغيرهما، وهل هما فقهاء أم كتَّاب نوادر وطرائف؟ ففي كثير من الأحيان يكتب الإنسان في مواضيع كثيرة، ومسألة التخصص تُطرح عندما تكون هناك بحوث، ففي هذه الحالة لا يمكن أن تطلب من شخص متخصص في العلوم السياسية أن يكتب بحثاً في النقد الأدبي؛ لأنه لا يملك الأدوات اللازمة، وبالقدر نفسه لا يمكن أن تطلب من شخص متخصص في النقد الأدبي أن يكتب بحثاً في العلاقات الدولية؛ لأنه لا يملك الأدوات الكاملة، ولكن عندما تكتب مقالة صحفية أو عملاً أدبياً فهذا ليس له علاقة بالتخصص، فيوسف إدريس مثلاً كاتب قصة وهو طبيب، ونجيب محفوظ روائي وخريج فلسفة، وهكذا؛ فالأدب إبداع، والإبداع مرتبط بمتغيرات الحياة، وانطباعات عن هذه الحياة نكتبها للخاصة والعامة، لكن البحث نكتبه

للخاصة من الذين يشاركونك التخصص، هنا يجب التأكيد على التخصص وما عدا ذلك من مجالات الإبداع فهو متروك للجميع، وتلقّي الناس لهذا الإبداع هو الذي يحكم.

س: ولكن ثمة لغط كبير في أن الإنسان يطرح رأيه في مجالات شتى وكان يؤخذ عليك تناولك لقضايا دينية واستدلالك بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية بالرغم من أنك غير متخصِّص في العلوم الشرعية؛ مما يوقعك أحياناً في أخطاء فادحة فما ردك على ذلك؟ خاصة أنك تعيب على الآخرين أنهم يتحدثون فيما لا يعرفون؟

ج: أنا لا أسميها أخطاء، وأسألك سؤالاً عن الصحابة، فلو جئنا بصحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحضرت طالب خريج ثانوي من الموجودين لدينا الآن فأيهما لديه معلومات أكثر عن الإسلام؟ أنا أعتقد أنه الطالب، فالصحابي أخذ الدين بالفطرة والبساطة، فأنا عندما أكتب عن أمور دينية فذلك جزء من حياتي في أكلي وشربي وملابسي، وعندما أرى آخرين يدَّعون بالعلم معرفة ويأخذون آية معينة ويبحثون لها عن أقسى وأسوأ تفسير ويحاولون ليَّ أعناق الحقائق لتوافق مذاهبهم السياسية أو الاجتماعية، فأنا أكتب رأيي ولكن لا أكتب قط عن قضية.

أنا أتناقش مع الذين يحاولون أن يجعلوا من مقولات دينية معينة مبررات ودلائل على اتجاههم فقط. إذا كان الأخ السائل ينتقدني لأنني غير متخصص في علوم الشريعة فأنا أنتقده لأنه غير متخصص في السياسة، ومع ذلك يتكلم فيها، فلماذا يأتي هؤلاء ويتحدثون في السياسة والاجتماع والاقتصاد وحتى التكنولوجيا، وعندما يأتي أحد ويحاول أن يطرح رأيه في أمور دينية يقولون له أنت غير متخصص مع أن الذين الإسلامي جاء للجميع ويفهمه الجميع وهو بسيط؟ فهذا هو الفرق بيننا وبينهم.

مثل هذه المشكلة كانت في أوروبا في العصور الوسطى، حيث وضعوا أن هناك من يفهم في الأمور الدينية ولا يمكن تفسير هذه الأمور إلا من خلالهم، وأن العامة لا يمكنهم أن يتواصلوا مع الله إلا من خلال هؤلاء، وقد برزت عندنا مثل هذه التيارات في زمان من الأزمنة ولا زالت موجودة حتى الآن، وهي تعني أن "نحن نفهم الإسلام ولا تستطيع أن تفعل كذا وكذا لأنك لا تفهم فيه ما نفهمه نحن".

س: أيضاً في المقابل هناك تطرف، فعندما تحدث هؤلاء في شؤون حياتية بكل أشكالها قيل لهم لا تتكلموا فيها لأنكم غير متخصصين، فهل هو حلال على هؤلاء وحرام على أولئك فكيف تُعلِّق على هذا؟

ج: في الأمور العامة التي تهم الجميع هناك مجال للرأي، ويجب أن نفرِّق بين شيئين، ومشكلتنا في العالم العربي هي أننا لا نفرِّق بين الحقيقة والرأي، فعندما أقول لك: إن الأرض تدور حول الشمس. وتقول: إن رأيك مختلف، فهذا ليس رأياً إنما حقيقة، وأنت تقبلها أو لا تقبلها فتلك مسألة أخرى، ولكن عندما تقول إن اللون الأحمر أجمل من الأسود فهذا رأي وليس حقيقة. المشكلة أن بعضهم يعتقد أن رأيه هو الحقيقة، فإذا كانت المسألة متعلقة بالشأن العام فهي مفتوحة للرأي، ومن يستطع أن يقنع الآخرين برأيه فليفعل، وأعتقد أن هذه ليست مشكلة، بل تكون المشكلة عندما تكون هناك حقيقة معينة يحاول بعض الناس أن ينكرها ليأتي بحقيقة من عنده دون أن تكون له أدوات الوصول للحقيقة. عندما يأتي فقيه مثل أبي حنيفة ويقول رأياً في قضية معينة فأنا لا أعارضه؛ لأني لا أملك أدوات ذلك، ولكن عندما يأتي شخص آخر غير فقيه ولا يملك آليات العمل الذي يقوم به وخلال ستة أشهر يقول إنه أصبح شيخاً ويطرح رأيه على أن ذلك هو رأي الإسلام فإننا نقول له (لا)، فأنا لدي رأي ورأيي مثل رأيك، لكن في قضايا فقهية فأنا لا أملك الأدوات، ولا أناقش من لديه الأدوات.

*****

العولمة عند الحمد

س: في فكر د. تركي الحمد العولمة قضاء وقدر يجب قبوله والانخراط فيه. وسمعتك مراراً تضرب مثلاً لها بقطارك الشهير الذي إما أن نركبه أو يفوتنا فنبقى على هامش الحياة، فما مفهوم العولمة التي يدعو إلى قبولها والانخراط فيها؟

ج: أنا لا أدعو للعولمة ولم آت بها من عندي، فهي تفرض نفسها. يجب أن نميز بين مستويات معينة، المستوى المعين الذي لا نستطيع أن ننكره وهو ما يجري في هذا العالم. لا أحد يستطيع أن ينكر أن هناك تغيرات في هذا العالم، مثل ثورة الاتصالات وثورة المعلومات والتقارب بين دول العالم. هناك حركة اسمها عولمة، وسمِّها كرسياً أو شجرة أو كما شئت، وهناك إيديولوجية العولمة، وهي أن تأتي دولة مثل أمريكا وتحاول أن تفرض نمط حياتها على الآخرين باسم العولمة؛ فذلك يسمى إيديولوجية، وعندما قلت إن قطار العولمة يسير فيعني ذلك أن هناك تغيرات تجري، والعالم يتغير بالتالي ونحن لا زلنا نتناقش في أمور لا علاقة لها بما يجري في هذا العالم، وهذا يذكرني بالنقاش البيزنطي عندما كان علماء بيزنطة يتناقشون في أمور الرقص وكانت جيوش المسلمين تحاصر المدينة. انقلب الوضع فأصبحنا هم وأصبحوا نحن، فلا زلنا نتناقش في أمور يمكن أن نرجئها؛ لأن هناك ما هو أهم؛ وأنا دائماً أضرب المثل باليهود في الإسلام؛ فهناك متطرف مثل عوفاديا يوسف، وهناك من لا يعتنق أي دين مثل شمعون بيريز، ولكنهم متفقين على شيء واحد هو الكيان الإسرائيلي، والمشكلة أنه لا توجد لدينا مثل هذه الدائرة التي نتفق عليها حيث نركِّز على التفاصيل ونبحث عما يفرق وليس عما يجمع. في ظل الظروف الراهنة ينبغي أن نتفق على حد أدنى.

عندما أقول مثل هذا الكلام يقولون تركي الحمد يهددنا، بينما أنا أقول رأيي وأحذِّر مما أعتقد أنه يمكن أن يحدث، فإذا لم تصدقني أقول لك الله يستر علينا وعليك. هذه هي القضية.

بخصوص العولمة أقول: إن الدول والجماعات بدأت تتقاسم العالم وتتسابق في الإنتاج بينما نحن نتناقش في أمور بسيطة؛ وأقول: إنه يجب علينا أن نبحث لأنفسنا عن مكان في هذا القطار، وعندما أقول هذا الكلام يقولون لي إنك تهددنا، وأنا لا أفعل ذلك وليس لدي شيء أهدد به، بل إنني أنقل الصورة كما أراها لا أكثر ولا أقل.

س: من الضروري أن أعود لهذه القضية، حيث إن موقفك من العولمة يميل إلى اعتبارها قدر المستقبل الذي لا راد له، وهو موقف أهل الحداثة عموماً في بلادنا. لماذا لا نجد هذه الظاهرة في دول العالم الأخرى حيث تزدهر تيارات مقاومة العولمة والقائلون بإمكانية التصدي لها وليس الانصياع لبرنامجها خصوصاً وأنها " أمركة " للعالم ونهب له وسحق لهويات شعوبه وثقافتهم لصالح ثقافة واحدة وملامح دولة واحدة، بل حتى في أمريكا نفسها نذكر سوياً أحداث "سياتل" فما هو تعليقك؟

ج: تحدثنا قبل ذلك عن النظرة الاختزالية، فالأخ السائل أخذ الولايات المتحدة الأمريكية التي تحاول فرض ثقافتها على العالم، وهذا الكلام صحيح، وهو ما يسمي بإيديولوجيا العولمة. بدل أن نسأل لماذا أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي سيدة العالم علينا أن نسأل كيف أصبحت كذلك؟! أما حركة العولمة فذلك يعني التيارات التي تجري وسيكون لها ضحايا وفيها منتصرون كأي حرب وكأي تغير تاريخي في العالم.

لا يوجد تغير تاريخي إلا وكان له ضحايا. نحن نري أن نقاوم العولمة؛ ولكن السؤال هو كيف نستطيع أن نفعل ذلك؟ مقاومة العولمة ليس بكتابة المواد الإنشائية، وقد ذكرني هذا بما حدث إبان الثورة الصناعية من ظهور للآلات الصناعية، حيث قام العمال بتكسير الآلات بدعوى أنها تسببت في فصلهم من أعمالهم، ومع ذلك ظلت الآليات موجودة. القضية في نظري في أسلوب المقاومة،

ونحن لا نستطيع مقاومة العولمة بالكتابات البلاغية والإنشاء؛ ولكن بالمشاركة فيها، فعلينا أن نركب القطار ونتحاور مع الركاب ومع القائد ونتشبث بأماكننا ونحاول أن نتقدم من الدرجة الثانية للدرجة الأولى؛ ولكن إن لم نركب القطار فذلك يعني أننا على الرصيف والعالم يسير.

عندما نتحدث عن مقاومة العولمة في أمريكا نقول إنه تكونت مقاومة عملية وليس مجرد الشجب الذي أودى بنا إلى المهالك، ولكن بالمشاركة، وأعطيك مثال بعض الدول العربية رفضت المشاركة في منظمة التجارة العالمية عند تكوينها وأصبحت الآن تشحذ المنظمة لكي تقبل عضويتها، فلماذا لم تشارك منذ البداية؟ المنظمة قد تطرح أفكاراً لا تتوافق معهم ولا مع آرائهم، لكن هم المخطئين؛ لأنهم لم يشاركوا. هكذا تكون المقاومة وليس بمجرد ترديد الهتافات المعادية لأمريكا، ونحن يمكننا أن نقول لا عندما نصبح قادرين على ذلك.

س: تركي الحمد مهموم بقضية التخلف والتقدم، فما هي العوامل الدافعة للعرب والمسلمين لتحقيق التقدم في نظره؟

ج: الحرية والتسامح، طبعاً سيقولون ماذا تعني بالحرية؛ وهل هي الانفلات من القيد؟! وأقول: لا، بل الحرية مسؤولية، فالله تعالى عندما خلقنا تركنا أحراراً، الحرية تعني المسؤولية. المشكلة أننا في العصر الراهن حاولنا أن نفسِّر الإسلام على أنه عملياً أو نظرياً، ضمناً أو تصريحاً لا يتوافق مع الحرية وهذا غير صحيح. عندما ننظر لتاريخ الحضارة الإسلامية نجد أن أبرز المراحل كانت هي التي توفر فيها تلاقح وتصارع للأفكار، وقد استمرت الأمور، كذلك حيث كان يجتمع عند المأمون المسلم والنصراني واليهودي والمجوسي وكان يقول لهم تناقشوا، ولا يستدل أحد منكم بكتابه المقدس، هذا هو المأمون أمير المؤمنين، وسيتحدثون عندما يريدون انتقاد المأمون عن المعتزلة وغيرهم، ولكنهم يفخرون به في ذات الوقت، ولو نظرنا لتاريخ الحضارة الإسلامية لوجدنا هذا التسامح

وآيات القرآن الكريم تدل على التسامح، وعلى أن الإنسان حر في أن يختار ما يشاء وفق المسؤولية، وعندما نقرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نجدها تعبر أصدق تعبير عن ذلك، وخذ مثالاً على ذلك قضية الإعرابي الذي تبول في المسجد، ولو فعل أحدهم مثل ذلك الآن لقطعوه إرباً إرباً.

س: دعنا نكون واضحين، ربما فات على جيلكم وجيلنا ما تدعو إليه، ولكن كيف يمكن يا د. تركي تنشئة الأجيال الجديدة على مبادئ الحرية والتسامح التي تقول؟

ج: بالتغيير الجدي والجذري في المناهج التعليمية، نحن نعلم أطفالنا كيف يتخرجون، إنهم مثل آلات التسجيل من المدارس، حيث نعلمهم كيف يحفظوا فقط، حتى في القرآن نعلمه كيف يحفظ الآية فقط ولكن ما هي الأهداف والجوهر الرباني؟ المدرس ذاته يحتاج إلى تدريس وإعادة تثقيف، وبعضهم يحاول أن يأخذ في بعض الأحيان أحاديث ضعيفة ولكن فيها قسوة، ونبتعد عن تلك الجماليات سواء في حضارتنا الإسلامية أو في حضارات الآخرين وغرض الإسلام هو البحث عن الحقيقة. أعراب من الجزيرة العربية دخلوا مصر وفارس ولم يذوبوا بل أذابوا الآخرين فيهم؛ لأنهم استوعبوا. في اعتقادي يتم ذلك بالإعادة الجذرية والجادة لمناهج التعليم.

س: أتلمس من إجابتك أنك دائماً تُسقط الخطأ والاتهام على فئة أو شريحة معينة وتقول إنها هي التي تقف عائقاً أمام المشاريع التي تطرحها، والقارئ ربما سيتلمس معي ذلك فلماذا؟

ج: عندما أتحدث يذهب الآخرون إلى أنني أتحدث عن الإسلاميين؛ وهذا ليس صحيحاً بالضرورة، فالتعصب ليس حكراً على الإسلاميين ولا على غيرهم، فالشيوعيون متعصبون، والقوميون متعصبون، والإسلاميون متعصبون؛ فالتطرف والتعصب ليس حكراً على الإسلاميين، وهو لا مذهب له، يا سيدي الفاضل، انظر

لمَ حدث للاتحاد السوفيتي ما حدث؛ ذلك إلا لأنهم كانوا يعتقدون أن الحقيقة بأيديهم، والقوميون كذلك.

س: الغرب بالنسبة للعرب والمسلمين اليوم هو الخصم والحكم في آن واحد، فما الأسلوب الأمثل في نظر تركي الحمد للتعامل معه؟

ج: بأن نشارك في هذا العالم كما ذكرت في قضية العولمة، وبغير المشاركة لا تستطيع أن تطرح صوتك، لتغيير قرارات الأمم المتحدة ينبغي أن تكون عضواً فيها. المشاركة قد تكون بسيطة أو بخطى بطيئة، لكن مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، ودون ذلك لن تكون لنا أي قدرات. ولأضرب لك مثلاً بالنفط، فإذا لم يشتريه الغرب فماذا سنفعل به؟ هذه هي القضية، ويجب أن نبدأ بخطوات ولو كانت بسيطة، وإن أشعل شمعة خير من أن ألعن الظلام.

س: يلاحظ على المفكر السياسي د. تركي الحمد أنه يتحدث عن الماضي في حياة الأمة على أساس أنه معوِّق للحاضر والمستقبل، حتى إنه عبَّر عن ذلك في إحدى مقالاته بأن العودة إليه تدمير للمستقبل، فأي ماضٍ يعني؟

ج: المشكلة أنه عندما نقول الماضي أو التراث دائماً يقال كتاب الله وسنة نبيه. وهذا ليس ماضياً وليس تراثاً؛ لأنك حددته بزمن، والمقدس لا يُحدَّد بزمن، فعندما أقول الماضي أعني اجتهادات وطروحات الآخرين بكل أنواعها، وهذا لا يعني التقليل من شأنهم، ولا يعني الالتزام بما قالوا؛ لأن لهم زماناً ولنا زمان، وكما قال الإمام مالك: "كلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر". لما تحدثت وطرحت ما أسميته السلفية الفلسفية ثاروا في وجهي، والسلفية لا تعني أن آخذ ما قاله ابن حنبل وأبو حنيفة بحذافيره، والسلفية الحقيقية هي أن أنظر للمنهج وكيف توصلوا للحقيقة. الباقي هو إنتاج، وأنا أريد الوصول للآلة وليس للإنتاج، ومشكلة بعض الناس عندنا أنهم يأخذون الإنتاج ويتركون الآلة. هذا مكاني وهذا

زماني وآراء، من سبق كانت لمكانهم وزمانهم، وهذا لا يعني عدم الاستفادة منها فما نستفيد منه نأخذه وما لا نستفيد منه نتركه. المقدسات واضحة ومعروفة.

*****

أسئلة حول خطاب الحمد

س: في خطابكم السياسي والفكري قدر كبير من جلد الذات عربياً وإسلامياً وتهميشاً لدول العالم الخارجي في صناعة التخلف في بلادنا، ألا تعتقد أن اختلال ميزان القوى مع المنظومة الاستعمارية الغربية خلال القرن الحالي والماضي كانت سبباً أساسياً فيما نحن فيه؛ وربما هو السبب الأكثر أهمية من التخلف الذاتي حسبما يرى كثيرون؟

ج: في مقولة القابلية للاستعمار لمالك بن بني قد تجد بعض الإجابة. قد نكون أنا وشخص آخر جالسين في منطقة معينة، ونتنفس الهواء نفسه وتلفحنا الشمس نفسها لكن أحدنا يصاب بالأنفلونزا والآخر لا يصاب فلماذا؟ الجراثيم موجودة في كل مكان، ولكنها لا تخترق إلا الجسم الضعيف الذي يفتقر للمقاومة. هناك دول كثيرة استُعْمِرت، وألمانيا دُمِّرت نهائياً، وكذلك اليابان التي جلس فيها جيش الاستعمار ومنعهم من تكوين وإنشاء صناعات عسكرية وجيش فما الذي جرى؟ لقد خرجوا من تحت الأنقاض، وكمعلومة في أيام محمد علي باشا أرسلت الحكومة اليابانية بعثة للاستفادة من التجربة المصرية، والسؤال هو لماذا نجحت اليابان ولم ينجح محمد علي؟ سيقولون السبب هو التدخل الاستعماري، وأنا أقول إن السبب الأول هو القابلية للتخلف ولا تحاول أن تسبغ أسباباً أخرى، وليس ذلك لأننا متخلفون بطبيعتنا وذلك حتى لا نُفهم خطأ.

ليس الأمر جلد ذات ولا يمكن تدبير الأمر بنظرية المؤامرة وغيرها، وما دمنا مستكينين فلنتحمل ما يجري. دائماً في ثقافتنا العربية نضع اللوم على العامل

الخارجي الذي له دور كما هو الحال في بلاد أخرى كثيرة، ولكن يجب أن نضع النقاط على الحروف، والسبب في رأيي هو قابليتنا لكي نكون مستعمرين، فهي التي جعلت الآخرين يخرجون من تحت الأنقاض، ونحن لا نزال نلهج بالمؤامرة ونظريتها، ويمكننا أن ندعهم يتآمرون إذا كنا أقوياء، ولكن نحن نخشاهم لأننا ضعفاء.

س: وأيضاً لأبقى في ذات الخطاب، في خطابكم كثير من الافتتان بالنموذج الديمقراطي الغربي وخصوصاً الأمريكي، ألا ترى أنه نموذج زائف يعتمد على ديكتاتورية مراكز القوى، تلك التي تدفع باتجاه سيطرة أقلية لا تتجاوز ٢٪ من المواطنين على القرار السياسي في البلاد؟

ج: قبل أن ننتقد الديمقراطية في أمريكا أو بريطانيا فلننظر إلى أنفسنا أولاً، وبعد أن نكمل النقص الذي بنا يمكننا أن ننتقد الآخرين، أما عن الديمقراطية بوصفها نظاماً فهي صناعة بشرية وليست النظام السياسي الأمثل، بل هي النظام الأقل سوءاً كما قال تشرشل، وهي التي يمكن أن تخرج بقرارات تمثل الجميع، أما مسألة أنه ليس بها نواقص فهذا رأي غير سليم، ولكن كما قالوا فهي الأقل سوءًا.

س: ولكن المتتبع لكتاباتك يجد هذا الافتتان دون أن تتطرق لهذه المثالب والنواقص للديمقراطية؟

ج: هذا غير صحيح، وأنا لدي مجموعة من المقالات، - وإن شاء الله - سوف تطلع في كتاب، حتى إن فيها مقالة اسمها الديمقراطية ليست عصا موسى، وهناك عدة مقالات أخرى تحدثت عن هذا الأمر.

*****

القضية الفلسطينية

س: نعود إلى بُعد آخر وندخل إلى موقفك من التسوية ونقيضها المقاومة في الساحة الفلسطينية، فالدكتور تركي يؤيد الأولى ويعارض الثانية، فهل تتعارض حداثة الفكر مع مقولات الكرامة الوطنية والقومية والحقوق التاريخية؟

ج: لا، ولكن كي ندافع عن كرامتنا فعلينا أن نعرف كيفية الدفاع، فكما قلت بإمكاني أن أصبح مناضلاً سياسياً عظيماً إذا كان النضال السياسي يعني أن أخرج للشارع وأسب رئيس الدولة، عندها سوف أُمسك وأوضع في السجن ولن أكون قد حققت شيئاً. وبالنسبة للعراق عندما يقول مؤيدون إنه هو البلد العربي الذي قال: لا؛ فأنا بإمكاني أن أقول لا وتأتيه ضربة تطرحه أرضاً، فالكلمة بسيطة، والسؤال هو متى تقول لا وأنت قادر. أما بخصوص مسألة التسوية والكرامة، فالكرامة هي أن أعرف كيف أدافع عنها، فالعراق تحدث خلال حرب الخليج عن كرامة العراق وكرامة الإنسان العراقي فماذا حدث؟ ٢٠٪ وهم أفضل سكان العراق يتسولون في الخارج، فتيات العراق يتسولن والله أعلم بما يجري؛ فالإنسان العراقي أصبح محطماً ومهاناً فهل الكرامة كلمة؟ طبعاً لا، فأنا أريد الكرامة بشكل صحيح، والطريق إلى ذلك صعب وشاق وليس الأمر مجرد كلمات، وإننا سوف نتحدى أمريكا وغيرها.

بخصوص التسوية فالكرامة لا تعني رفض التسوية، فأنا لي رأي قديم وقد عورضت فيه؛ فأنا أقول لماذا نخشى إسرائيل ونحن الجسم الطبيعي؟ فلماذا من خلال التسوية لا أستوعب اليهود حضارياً؟ فلو نظرت لفلسطين المحتلة وعدد اليهود مقارنة بالعدد الإجمالي للعرب ولا أقول المسلمين ستجد أنه يمكننا في الظروف الطبيعية أن نستوعبهم ونمتصهم.

س: ولكن هل أستطيع أن أستوعبهم وأنا متخلف حضارياً؟

ج: هذا هو ما أقوله، ودعنا ننتقد أنفسنا لنخرج من حلقة التخلف التي نحن فيها اليوم، أليس من العار والعيب أن خمسة ملايين يهودي أو أقل يسيطرون على حوالي ثلاث مئة مليون عربي؟ فالسؤال الأكثر حرقة هو لماذا؟ وسيقولون لك لأن أمريكا تقف وراءهم فأقول لهم إن أمريكا تدخلت في فيتنام لكنها طردت منها. هذا ليس عذراً. السؤال هو لماذا يسيطر خمسة ملايين يهودي على ثلاث مئة

مليون عربي؟ لك أن تدرك أن إسرائيل لها ١٥ مركز أبحاث عن الشرق الأوسط فقط، وأي رئيس إسرائيلي أو رئيس وزراء عندما يزور بلداً تجد معه ١٠ أو ١٥ خبيراً في الاجتماع وعلم النفس.

الآن إسرائيل حسب إحصاءات علمية مرشحة لأن تكون من أكبر الدول المصنعة لرقائق الكومبيوتر، وهي تصنع وتبيع طائرات معينة. إذاً هنا يبرز السر، وهناك إحصائية أجريت قبل أعوام تقول إن كل ٢٥٠ إسرائيلياً لهم جهاز كمبيوتر، وكل ٣٥٠ ألف عربي لهم جهاز كمبيوتر.

س: لو سحبنا هذا الكلام على قضية التسوية ونحن كما تقول لا خوف على ثقافتنا من ثقافة هؤلاء لكنهم الآن في موقف قوة وربما يغلبون؟

ج: هذا كلام سليم، ولكن عندما تصبح هناك تسوية فإن التناطح قد يحيي هذا الجسم؛ لأنه لا يوجد بديل آخر؛ لأنه حتى لو استمرينا في المقاومة فمن أين سنأتي بالأسلحة، فالآن لا يوجد شيء اسمه الاتحاد السوفيتي وحتى الخبراء العسكريين الذين يدربون الجيوش العربية هم غربيون وأمريكان، وبالتالي أنت لست في موقف لأن تقول لا، وما يجري حالياً هو أننا ننعزل وتتقدم إسرائيل، ولكن عندما نجري التسوية ونأخذ نصيباً معيناً ومن خلاله نطمح لأشياء أخرى.

*****

تلاعب بالألفاظ

س: ننتقل إلى بُعد آخر؛ فالمتابع لنتاجك ومقالاتك يرى بشكل واضح تركيزك للتفريق بين المفاهيم مثل: "الماركسية والماركسيون، الإسلام والإسلاميون" فهل هو تلاعب بالألفاظ كما يقول بعض الناس بغرض التمهيد للنقد اللا موضوعي، أم أن ذلك راجع لموضوعية تستلهم هذا التفريق؟

ج: الهدف هو الدقة المنهجية. فمشكلتنا أننا نفتقد للدقة المنهجية مما يوقعنا أحياناً في مشكلات.

س: تفاجأ بعضهم بهدوء وعقلانية طرحك في أثناء ردك في ملحق الرسالة الإسلامي، واعتبره آخرون أنه كان مجرد إرضاء لمجموعة شباب مراهق قام بإصدار منشورات عنك، وقال آخرون إنه نوع من المهادنة والتكتيك المرحلي فما تعليقك؟

ج: والله لا أدري ماذا أقول لك وهذا هو طرحي ولكنهم قرؤوه بشكل مختلف، والمشكلة هي أنك مهما تقول فسينظر للأمر بنظرة معينة، وما طرحته يعبر عن رأيي، ومسألة أنه تكتيك وغيره فذلك يرجع لأصحابه.

س: تُكثر في كتاباتك من التكرار والاستطراد، أليس ذلك عيباً في أسلوبك الصحفي، وأيضاً ذكرت في بعض لقاءاتك الصحفية أنك لا تبيض مقالاتك قبل النشر، فهل هذا من الثقة الزائدة بالنفس؟ أم هو استخفاف بعقول الناس؟

ج: هو ليس استخفافاً بعقول الناس وهو ثقة وليس غروراً.

س: تُتهم من قبل مجموعة من المثقفين - وبالمناسبة فهؤلاء الذين يضعون هذه الأسئلة ربما تفاجأ إنهم من محبيك - بأنك تمارس دور الاستعارة الفكرية من مفكرين غربيين وعرب وأنك تتشرب الفكرة ثم تصوغها بلغتك؟

ج: ولنفرض، فما العيب في ذلك؟! فأنا عندما أستعير هذه الأفكار أذكر اسم الشخص وأقول قال فلان أو كما قال فلان، وبالتالي أعلق عليها وآخذ منها موقفاً أو أصوغ الأفكار وأخرج منها بصورة جديدة فما العيب في ذلك؟

س: هم ربما يعتقدون أن ذلك نوع من سرقة الفكرة وبلورتها ثم نسبها لنفسك؟

ج: فليثبتوا ذلك.

*****

الهوية عند الحمد

س: الهوية في فكر د. تركي الحمد متغيرة ومتطورة، وهي في عرف الناس تشتمل على ثوابت لا تتغير وإلا لما أصبحت هوية، ما هو تفسيرك الحقيقي؟

ج: تفسيري هو أنك إذا افترضت أن الهوية جامدة تكون قد جمدت طفلاً في سنته الأولى أو الثانية؛ فالهوية متغيرة، تتحدث عن الثوابت وأقول لك إنها معروفة ولا تحتاج لمن يذكرنا بها، ونحن ننمو في ظلها، فالثوابت نتشربها في هذا البلد مع حليب الأمهات، وننمو ونحن نمارسها دون أن نحس بها، وهذا أكبر شيء في الهوية هو أن نمارسها ولا نحس بها. ولكن أن يأتي أحد ويقول لك إن ممارستك ضد الهوية لأنها كذا وكذا؛ ويأتي آخر ليقول رأياً معارضاً ويأتي ثالث برأي مخالف من عنده فنحن نحتار. الثوابت تشربتها نفسي قبل أن يتشربها عقلي.

س: يرى د. تركي تعقيباً على قضية المجتمع أن الواقع المعاش يؤكد الهوية الإسلامية بالرغم من أن الواقع المعاش والمؤكد اليوم يبتعد كثيراً في أقطار المسلمين عن الإسلام كمنهاج ونظام فما هو تعليقك؟

ج: هذا رأي السائل الشخصي، ولو سألته عن منهاج الإسلام فسيأتيني بطرح معين ينفي ما عداه، فهذا الطرح إيديولوجي معين، ولو نزلنا لأرض الواقع سنجد أن المنهاج الإسلامي غير متفق عليه بين التيارات المختلفة، فمثلاً لو سألنا جماعة أو تياراً معيَّناً في مصر وآخر في إيران وثالثاً في الجزائر عن المنهج الإسلامي فسنجد اختلافاً كبيراً. بالتالي لو أمسك أحدهم بالسلطة وفرض منهجه بالقوة على أنه المنهج الإسلامي فسيكون قد ألغى بقية المسلمين. الواقع يقول: أننا مسلمون ونمارس الإسلام، وإذا كان خلال فترات الانحطاط وفترات الاستعمار لم يُقضَ على الإسلام فهذا يدل على الحيوية والاستمرار.

س: في المدة الأخيرة كثرت معارضات طروحات د. تركي الحمد في اللقاءات والندوات والمؤتمرات التي يُدعى إليها داخل وخارج المملكة فما هو السبب؟

ج: كثرة ماذا؟

س: كثرة معارضة طروحاتك في الداخل والخارج؟

ج: لا أدري فقد يكون هناك انتشار أكبر وحقيقة لا أدري، فالأمر يحتاج إلى بحث.

س: هذا أحد محبيك القلائل الذين أرسلوا لي: ما هي أسباب هجرك لصفحتك الرائعة "زوايا للرؤية" بمجلة الإعلام والاتصال وأضيف أيضاً مقالتك في الشرق الأوسط ؟

ج: (فترة سكوت)

س: هل أعفيك من الإجابة؟

ج: أرجو ذلك فالأمر ليس بيدي.

س: هل من وعد بأنك ستعود؟

ج: بإذن الله.

*****

الإيديولوجيا والدين

س: ما هو مفهوم العلمانية عند تركي الحمد؟

ج: بعضهم يقول إن تركي الحمد متسول فكرياً من الغرب، عندما ننتقد شيئاً فيجب أن ننتقده بالكامل. العلمانية كلمة حديثة ولم نكن نسمع بها قبل ٢٠ سنة، ولو بحثنا عن هذه الكلمة سنجد أنه في العصور الوسطى كان الأمر إما أبيض أو أسود، بمعنى أنك إما أن تعيش حياة المسيح كما يسمونها أو تحيا حياة العوام، وهذا الأخير يسمى علماني. نحن مجتمعنا العربي والإسلامي وتاريخنا الحضاري لا يمكن أن يكون علمانياً، لأنه ليس هناك انفصال. هناك مجتمع

مدني وليس مجتمعاً دينياً كما يصورونه، بل المجتمع محدد بدستور وحدود معينة. من يطرح كلمة علمانية هو الذي يبذر بذور العلمانية. من يتكلم عن العملانية ويتهم بها الآخرين هو الذي يبذر بذورها؛ لأنه يحاول أن يجعل في الإسلام ما ليس فيه، فالعلمانية تعني فصل الدين عن الدولة، وفصل الدين عن المجتمع وحياة الناس، ولكن عندما ننظر للحضارة الإسلامية فلا نجد للعلمانية موقعاً، ويبدو أن الأمر تشابك وتداخل، فالعلمانية مفهوم أوروبي ينطبق على الحالة الأوروبية. لماذا نستورد هذا المفهوم ونحاول أن نطبقه في منطقة ومجتمع وحضارة لا ينطبق عليه؟ ودليلي على ذلك أنه كانت لأكيوروس وظيفته الدينية، وفي البصرة انظر للفقهاء الكبار في حضارتنا تجد منهم التاجر ومنهم الخياط، فهو طالب علم في المقام الأول حتى إذا ما امتلك أدوات الإفتاء يفتي، بينما وظيفته ليست الفقه والفتوى، بينما نجد أن وظيفته في أوروبا هي رجل دين، إذا أدخلت هذا المفهوم بهذا الشكل فكأنك تريد أن تقول إن هناك من يختار الدين وهناك من لا يختاره وهذا غير صحيح.

س: لكن كثير من معارضيك يقولون عنك أنك علماني؟

ج: أقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، وأقول: إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اتُهم بالجنون.

س: إذاً تنفي عن نفسك هذه التهمة؟

ج: أساساً كيف أنفي تهمة باطلة والمفهوم نفسه باطل.

س: لنأخذ الأمر من جهة أخرى، هل أطمع في أن تُعرِّف لنا الدين من وجهة نظرك؟

ج: أنا لا أُعرِّف الدين فهو مُعرَّف أصلاً.

س: وكيف ترى وظيفة الدين؟

ج: أهم وظيفة للدين في رأيي هي القول بأن هناك حياة أخرى، وأن الحياة الدنيا ليست هي كل الحياة، والشيء الثاني هو أن الدين في مفهومي هو الأخلاق والتعامل؛ فلا تستطيع أن تفرض قوانين وأنظمة وتتجاهل الأخلاق، والشيء الثالث هو أن الدين إطار حضاري عام يحدِّد التفصيلات التي بداخله والحضارة التي يحويها. هذه الأُطُر الثلاثة هي التي تُحدِّد جوهر الدين، وعدا ذلك يعتبر تفصيلات وإضافات إذا اهتممنا بها ونسينا الجوهر والأركان الثلاثة نكون قد أضعنا الدين.

س: ما علاقة الدين بالأدب والفن والفكر في مفهوم د. تركي الحمد؛ وأرجو أن تتفهم إيرادي لهذه الأسئلة؟

ج: الدين جزء من الثقافة العامة لأي شعب، وحتى الشعوب التي تقول بفصل الدين عن الدولة نجد أن الدين جزء أساسي من مكونات ثقافتها. والحياة بلا دين تشعرك بالعبث، وإذا كنت تعتقد أنك تعيش هذه الدنيا فحسب فما الداعي لأن تعمل؟ وبالتالي فالدين جزء من الثقافة وله تأثيره المباشر.

س: ما هو دور علماء الدين في نظرك؟

ج: دورهم تبيين المتشابه من الأمور التي لا يستطيع الإنسان العادي أن يفهمها، ولكن دورهم ليس تفسير ما هو مُفسَّر.

س: لمن يُرجَع في تفسير الدين وفهم نصوصه، وأرجو التنبه على هذه الأسئلة وضرورة التركيز في الإجابة عليها وإضافة ما تريد إضافته؟

ج: إلى أهل الفقه المتمكنين من أدواته.

س: ما المقبول والمرفوض من الثقافة الغربية؟

ج: هذا سؤال كبير، فالمقبول منها هو ما أستطيع استيعابه دون فقدان الشكل الحضاري العام، والمرفوض هو ما أستطيع أن أستوعبه ولا يستوعبني، ومثال

على ذلك فإننا نشرب شاياً صينياً ونأكل خبزاً من بلدان أخرى فنحن نهضمه ويصبح جزءًا منا. وما لا أستطيع هضمه فيجب على تركه؛ لأنه يتسبب في إحداث أمراض ومشاكلات والجسم يرفضه دون حاجة مني لرفضه.

*****

خصوصيتنا كأمة

س: هل لنا كأمة وحضارة خصوصية وما هي أبرز ملامحها؟

ج: كل بلد وكل أمة لها خصوصية، وهذا لا يعني نفي العموم، فنحن جزء من البشرية، فأنا عربي ومسلم، ولي محليتي ولي أيضاً العمومية وضرورة التواصل مع خلق الله في إطار أننا بشر وأبونا آدم عليه السلام، ونحن كمسلمين لنا عمومية وخصوصية، فإندونيسيا مثلاً ليس بالضرورة أن تكون كالسعودية ومصر كذلك وأوروبا. الخصوصية موجودة من أدنى مستوى إلى أعلى مستوى، ولكن هذه الخصوصية لا تعني أن ننفي العمومية باسمها فيجب المواءمة بين ما هو خاص وما هو عام.

س: وما هي أبرز سمات هذه الخصوصية التي نتمتع بها من وجهة نظرك؟

ج: لا أريد أن أُحدِّد وأقول لك إننا كذا وكذا؛ لأننا بالتحديد نكون قد حدَّدنا الحركة. خصوصيتي أمارسها ولا أُنظِّر لها كما مارسها من هم قبلنا. لسان العرب والدين الإسلامي بقي بالرغم من كل فترات الانحطاط والطمس والاستعمار. لم يبق لأن المُنظِّر الفلاني استطاع أن يفعل كذا وكذا. وفي فترات الانحطاط كان بعض الفقهاء يزيدون من هذا الانحطاط، لكن ما حدث هو أن الممارسة أصبحت جزءاً في الدم، فيجب ممارسة الخصوصية دون تنظير لها.

س: على ذكر الإيديولوجيا يا د. تركي فأنت تستخدم هذا المصطلح كثيراً فماذا يعني في قاموسكم وهل الأفكار الدينية من وجهة نظرك إيديولوجيا؟

ج: لهذا السبب فأنا أُفرِّق بين الإسلام والإسلام السياسي عندما نجعل الإسلام كالإيديولوجيا، عندما تقارن بين الإسلام والشيوعية أو القومية تكون قد ساويته بهما؛ فالإسلام دين بينما الشيوعية والقومية إيديولوجيات. الإيديولوجيا مرتبطة بمكان وزمان، والدين ليس مرتبطاً بزمان ومكان في عمومياته؛ فالإسلام يمكن أن يؤدلج عندما تأتي تلك الفئة وتأخذ بمقولات معينة وتفسيرات معينة من أجل هدف معين وتجعله حكراً عليها، تكون عندئذ قد أدلجت الإسلام وأساءت إليه؛ لأنها أنزلته من مرتبة الدين المقدس لمرتبة الإيديولوجيا التي تُقارَن مع أي إيديولوجيا أخرى، وهذا خطأ.

س: ولكن أليس من حق الجماعات الإسلامية المناداة بالإسلام كحل وتطبيق الشريعة؟

ج: أنا أحلل الأمور وأقول إن من حقهم ذلك طالما التزموا بالحركة السلمية وعدم محاولة فرض ما تقوله بالقوة، والأمر الثاني هو جعل ما يطرحونه رأياً وليس حقيقة تنفي إسلامية الآخرين؛ وفي هذه الحالة يصبح ذلك من حقهم. لكن أن تأتي فئات وتيارات تؤكد إسلاميتها وتنفي إسلامية الآخرين نكون عند ذلك قد وصلنا لمجال التطرف، وهذا يحدث عندما نحول الدين لإيديولوجيا كما حدث للشيوعيين عندما انقسموا إلى شيوعية ماوية وشيوعية لينينية، وكلٌ منهم ينفي ماركسية الآخر. الشيء نفسه يحدث عندما نحوِّل الدين لإيديولوجيا معينة نكون قد حصرناه على فئة وصار الصراع وكلٌ يكفِّر الآخر، ونكون قد وصلنا لهذا المستوى.

س: موقفك من الدين في شقه التشريعي ما زال غائماً، بل لعله أقرب إلى تيار علمنة الإسلام، أي جعله ديناً للمساجد فقط، أليس ذلك صحيحاً؟

ج: ليس صحيحاً بالمرة.

س: تنفي هذا الاتهام؟

ج: نعم أنفيه وأقول لمن يطرح هذا السؤال: عندما يكون الاهتمام بالتشريع على حساب الأخلاق نكون قد أضعنا الدين؛ لأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بقي ١٣ سنة في مكة، وفي هذه الفترة فإن ٨٠٪ من القرآن الكريم نجدها تركِّز على العقيدة والأخلاق وبدأت المرحلة التشريعية في المدينة بعد أن صارت هناك دولة وأصبح الجميع ملتزمين بالعقيدة وبالأخلاق، وفي عالمنا الحالي نجد من ينادي بتطبيق الشريعة بينما أخلاقياته تبتعد كثيراً عن أخلاقيات الإسلام.

*****

الثقافة العربية

س: تتهم الثقافة الإسلامية والعربية بالغرور واحتقار الآخر مع وقوفك في صف الآخر ضد ما تسميها الازدواجية القلقة، واسمح لي أن أستشهد ببعض مقولاتك، ففي كتاب الثقافة العربية ص٣٤ تقول إنها (تنظر إلى نفسها على أنها تتمتع بالفرادة التي تميزها عن غيرها من الثقافات) وبالتالي القول بعلوية الثقافة العربية على ما عداها من ثقافات فهي تطرح نفسها على أنها أبدع ما بالإمكان، وتربط هذه الأحاديث بالمرجعية " الرمزية الماضوية " وأنها في دفاعها عن ذاتها تلجأ إلى عمليات النكوص والارتداد إلى الماضوية البحتة والرفض لكل وافد لا يتواءم مع النموذج المحدد إيديولوجياً بشكل دوغماتي مغلق.

ج: هنا تبدو الازدواجية، المثقف العربي تجد في ذهنه أنه أفضل خلق الله، ويتعامل مع الآخرين تعامل الدليل، حُشِيَ في دماغه أن ثقافته هي أفضل ثقافات العالم، وأنا لا أريد ذلك؛ لأنه يسمى تعصباً، إذ إن ثقافتي مع ثقافات الآخرين تكوِّن الثقافة الإنسانية الشاملة، والمشكلة أن الأدمغة تُحشى في مجتمعاتنا أن ثقافتنا، ولو تحدثنا عن ثقافتنا العربية نتساءل هل هي كل ما أنتجه العرب والمسلمون؟ أم

هي بعض منها؟ المشكلة في هذه الازدواجية أننا نظن أننا وثقافتنا الأفضل على هذه الأرض، ولكننا في الوقت نفسه نشعر بالنقص تجاه الآخرين، فماذا يعني ذلك؟ يعني إحساساً بالنقص، وممارسة هذا النقص، وهذا يوقعنا في مرض نفسي؛ لأننا لا ندري هل نحن أحسن الناس أم أسوؤهم؛ إذ إننا نتعامل مع الناس على أننا الأسوأ ونتعامل في مجتمعنا على أننا الأفضل، فصارت عندنا فجوة وازدواجية ما لم نتخلص منها فسنظل ندور في حلقة مفرغة.

س: وكيف نتخلص منها يا دكتور؟

ج: بالنقد الصريح الواضح، فالمقدسات كما ذكرت واضحة ولا تحتاج لأحد كي يعرفنا ما هي، فنحن نعرفها ونشربها مع لبن الأمهات، فالنقد وحده هو الطريق للفعل الحضاري.

س: أيضاً ذكرت في الكتاب نفسه ص٢٥ الخصائص العامة للثقافة العربية فذكرت منها:

١- ماضوية في مقابل السلطة.

٢- أسطورية في مقابل الواقعية.

٣- أحادية في مقابل التعددية.

فماذا تعني بالأسطورة؟ وهل القرآن وقصصه من ذلك؟ وهل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تخبرنا عن الدجال والمهدي وأشراط الساعة من ذلك؟

ج: ألم أقل لك إنهم يقرؤون كما يريدون؟ فمعنى الأسطورة علمياً معروف، وهو لا يعني الخرافة بأي حال، ولكن هذه قصة تطول؛ فمثلاً وأنا عندما أتحدث عن التراث تجدهم يدخلون القرآن الكريم والسنة النبوية في الموضوع. عندما أتحدث عن المقدس فذلك يعني أنه خارج إطار الزمان والمكان ولا ينبغي تقييده بشيء،

وعندما أقول تراث وماضي أكون قد قيَّدته بالزمان. عندما أقول إن الأسطورية تسيطر على أذهاننا ليس الحقيقة العلمية، لماذا؟ إلى الآن هناك من لا يفرق بين التوكل والتواكل، فيأتي أحدهم ويقول لك "يا رجل اعتمد على الله" وأقول "ونعم بالله" لكن اعقلها وتوكل فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، فإذاً بالتالي علينا العمل ومن ثم التوكل، وهذا هو المفهوم الصحيح للتوكل، ما يحدث حالياً هو أن مفهوم التوكل خطأ.

هذه هي الأسطورية التي أتحدث عنها وعندما أتحدث عن الثقافة فلا أعني الكتب وإنتاجها فقط؛ فالثقافة تشمل العادات والعلاقات العادية والسلوك. هذا ما هو مسيطر على عقول الناس وما نتحدث عنه. عندما أقول الثقافة فإنني أتحدث عن الإطار الشامل وليس مجرد الكتب، وفي فترات معينة تجد أن أكثر الأشياء تأثيراً على عقول الناس والمجتمع هي ثقافة تعتمد على الأساطير أكثر مما هو ملموس، ومثال ذلك بدائع الزهور وقصص الأنبياء وأثرها الفكري، فهي تباع في المكتبات ولم يرد في حديث صحيح مثلاً أن آدم عندما هبط من الجنة كان طوله إلى السماء، هذا من الإسرائيليات، فقصة هبوط آدم عليه السلام من الجنة لم تتطرق إلى شكله، لكن المشكلة أن القرآن الذي كله عقلانية ليس هو المسيطر على عقول الناس. المؤثر هو الكتب والثقافة التي تعتمد على الإسرائيليات بشكل كبير، وأنا عندما أتكلم وأقول ثقافتنا ماضوية وأسطورية فإنني أعني أنها تحتوي على أساطير ما أنزل الله بها من سلطان تؤثر على عقول الناس وسلوكهم، وبالتالي أصبحت جزءًا من الثقافة، لأن السلوك جزء من الثقافة فلو نظرت الآن ستجد أن هذه الأمور الأسطورية هي المؤثرة. أعطيك مثالاً آخر، كلمة إن شاء الله كلمة رائعة فماذا تعني؟ يأتيك أحدهم مثلاً ويسألك هل سنتقابل غداً، فتقول له إن شاء الله، فالمقصود هو نعم سأفعل إذا أراد الله. إلى ماذا تحولت هذه الكلمة في السلوك؟ صارت بمعنى يمكن و"نشوف "و "يصير

خير"، فانظر كيف تحول معنى الكلمة، فينبغي ألا ننظر للكلمة على أساس أنها مجرد كلمة، بل بتلقي الناس لها وممارستها، فممارستنا لكلمة إن شاء الله خاطئة بالرغم من أن معناها في غاية السمو.

*****

البعث والقومية

س: قلت إنك في بداية حياتك ربما تكون قد اعتنقت مبادئ حزب البعث، فإذا كان الأمر كذلك فهل لا تزال تؤمن بذلك حتى الآن سيما وأن ذلك يتعارض مع كثير من طروحاتك الحالية؟

ج: لقد أجبت من حيث سألت، فالجزء الثاني من سؤالك يجيب على الجزء الأول، أقول لك إنني في بداية حياتي كنت قومياً متحمساً، وكما ذكرت فإنه من لم يكن قومياً في تلك الفترة فهناك شك فيه، ولكن حالياً من يظن أنني أعتقد المبادئ البعثية فهو لا يقرأ مقالاتي، انظر لمقالاتي ونقدي للإيديولوجيات العربية وسترى هل لا زلت كذلك أم لا.

س: وهنا أحد معارضيك يقول يظهر من كتابات د. تركي الحمد أنه ارتد عن البعث ولم يعد يؤمن بالعروبة ولا بالوحدة العربية، وقد كان الإيمان بها من أحد ركائز الأحزاب القومية، فهل تخليت عنها لمصلحة الإقليمية الضيقة ولماذا؟

ج: عجيب أمر هؤلاء، فإن غيَّرت رأيك كان ذلك ردة، وإن لم تفعل كان ذلك وصمة في الجبين، ويبدو أن المسألة "عنز لو طارت". كلمة ارتد وارتداد مرتبطة بالدين وليس بالإيديولوجيات إلا إذا ساوينا بين الدين والإيديولوجيا، ولا تستطيع أن تقول ارتد؛ لأنها مرتبطة بفهم معين، فمن كان مسلماً وأصبح مسيحياً أو يهودياً فهو مرتد، ومن كان مسيحياً وأصبح يهودياً فذلك من وجهة نظرهم مرتد. أما عن مسألة الإيمان بالعروبة فكما قلت أنا أرفض احتكار فئة معينة لفكرة معينة.

أنا عربي وأنت عربي وكلنا نشترك في العروبة ولكن أن يأتي أحدهم ويحتكر هذه العروبة ويفصلها على مقاسه بحيث أن من ليس ضمنها فهو ليس بعربي فهذا هو ما أرفضه، وما تركته لكن كوني عربياً فهذا ما لا أرفضه ولا أستطيع أن أفعل حتى لو أردت فأنا عربي وأحب الخير للعرب، فإذا كانت هذه هي القومية ففي هذه الحالة أنا قومي، لكن أن تجعل العروبة حكراً على أحد فلا.

س: لعله يقصد القومية المؤدلجة؟

ج: هذه تركتها وانظر للكوارث التي وجدناها. فكرة الوحدة العربية والوحدة الإسلامية وحتى الوحدة العالمية فالمسألة ليست مجرد أمنيات إنما في كيفية تحقيق ذلك. لكن أن تأتينا الوحدة العربية عبر شلالات دماء ومن خلال سيطرة دولة على أخرى فأنا لا أريد ذلك، ومهما كانت الغاية إذا كان الإنسان عندها غير عزيز ومكرَّم فهي ليست بغاية. كل الأشياء هي مجرد وسائل لغاية واحدة هي هذا الإنسان، لا أكثر ولا أقل.

*****

الليبرالية رفاه فكري

س: ذكر الأستاذ داود الشريان في إحدى المقابلات التليفزيونية أن التوجه الليبرالي في الخليج عامة وفي السعودية خاصة لا يوجد إلا في القلوب، أما في الشارع فهو مختف ولا يظهر إلا في المجالس الخاصة أو في بعض عواميد الصحف وعلى استحياء فما رأيك؟

ج: صحيح ولذلك أسبابه.

س: وما هي أسباب ذلك في رأيكم؟

ج: أعتقد أنه عدم الإيمان الكافي وعدم الفهم الكافي، فالأمر مجرد حديث مجالس ورفاه فكري، إذ نجد أنه حتى الليبرالي ظاهراً هو غير ذلك فعلاً وتفكيراً، وهنا نعود إلى طبيعة الثقافة الجمعية المهيمنة.

س: د. تركي الحمد، سعيت إلى مُسلَّمات في مجتمعنا وسعيت في هزهزتها ومناقضتها أحياناً وأنت تعرف تكاليف ذلك، فهل دفعت شيئاً من ثمن هذه المواقف وما زلت ؟

ج: الكثير.. الكثير.

س: ولا زلت؟

ج: ولا زلت.

*****

الحمد والحركات الإسلامية

س: هل سبق أن كان تركي الحمد إسلامياً حتى في مراحله المبكرة من العمر؟

ج: أنا مسلم على الدوام وهذا يكفي، أم أن لك رأياً آخر؟.

س: الحركات الإسلامية، السياسية والفكرية تحس بعداء شديد من تركي الحمد وكتاباته فهل هذا الإحساس صادق؟

ج: ليس صحيحاً، وكما قلت مراراً وتكراراً فلا أحد يملك الحقيقة المطلقة إلا صاحب الحقيقة المطلقة، وبالتالي كلنا مجتهدون سواء كنا في هذا التيار أو ذاك، كوني أكره التيارات الإسلامية لمجرد أنها تيارات إسلامية أقول هذا غير صحيح على الإطلاق، أنقدها نعم، أمقتها لا.

س: إذاً تحارب أدلجتها؟

ج: حتى في محاربتي لأدلجتها لا يزيد الأمر على طرح الرأي، لكن حقها في أن تطرح نفسها وتقول آراءها فهذا يجب أن يكون مقبولاً من الجميع شريطة ألا تلجأ للعنف وإثارة الفتنة وإلا أكون مناقضاً لنفسي بنفسي. عندما أتحدث عن

الإنسان وعن حريته في أن يعبِّر عن نفسه فهذا جزء من حريته وكرامته سواء كان يميناً أو يساراً إسلامياً أو غير إسلامي

س: الحركات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة والعلم يجعلها د. تركي الحمد في كثير من الأحيان انتهازية وسياسية، ودعني أضيف: هل هذه الحركات الإسلامية سواء في الداخل والخارج واحدة من وجهة نظرك؟

ج: نحن نتكلم عن السياسة، ومن مبادئ الحديث عن السياسة كما ذكرنا في مسألة التخصص وفي علم السياسة، فعندما نكنّ أي حزب سياسي أو منظمة سياسية فالهدف بكل بساطة هو الوصول للسلطة والمشاركة فيها. عندما يأتي تيار ويطرح نفسه على أنه تيار إسلامي أو غيره فالهدف هو التأثير على السلطة لاتخاذ قرارات معينة، هذا هو ما قلته فاتهموني بأني أقول عنهم انتهازيون؛ لأنهم يحاولون الوصول للسلطة، وأتساءل هل من العيب أن تشارك في اتخاذ القرار؟ وعندما نقول ذلك فهذا لا يعني الحديث عن طريق انقلاب عسكري وغيره، بل أقصد المشاركة في اتخاذ القرار سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، هذا هو هدف أي جماعة سياسية، وعندما نقول هذا الكلام فأنت تصف آلية العمل السياسي ولا تصفه بأنه خطأ أو صواب، وأنا عندما أقول هذا الكلام عن التيارات الإسلامية يثورون في وجهي ويقولون لي إنك تصفنا بالانتهازية، فنحن لا نريد السلطة بل نريد تغيير الباطل في المجتمع. دعونا نكن صريحين، فهذا الكلام غير صحيح، ولنا في تاريخ الحركات السياسية في الإسلام خير دليل.

س: في مجمل خطابكم ثمة محاولة لمخالفة كل ما هو "إسلامي" بالمفهوم السائد، فما إن يقرأ المرء عنواناً لمقال لكم حول قضية ما حتى يشعر في نفسه أن هناك موقفاً مخالفاً لما يراه الإسلاميون، هل هي عقدة التميز والمخالفة طلباً للشهرة أم القناعة الراسخة؟

ج: ولماذا تريدني أن أتفق معهم ولا تريدهم أن يتفقوا معي؟ نحن في مجال البحث عن الحقيقة سواء، فلماذا يكونون هم من هو على حق وأنا من هو على باطل؟ هل لمجرد رفع شعار الإسلامية أصبحوا كذلك؟ كلنا يا سيدي مسلمون، وهذا هو المهم. ولم لا يكون صاحب السؤال هو الذي يقرأ مقالاتي بعقدة التميز والفرادة وهي التي جعلته يقرؤه بهذا الشكل.

*****

عقيدة الانتظار

س: أحد متابعيك يسأل تهاجم في بعض كتاباتك عقيدة الانتظار، فما هي تلك العقيدة؟ وهل منها انتظار وعد الله بالنصر والتمكين في الأرض؟

ج: وعد الله بالنصر والتمكين وعد مشروط، عد إلى كتاب الله لتدرك ذلك. ثم دعنا نرى كيف تتحول المفاهيم في السلوك العام إلى نوع من المخدر، دائماً نقرأ في الصحف "متى يأتي صلاح الدين؟" إذا جلسنا في انتظار شخص - وهذا بالمناسبة ليس فقط للتيارات الإسلامية - فحتى التيارات القومية يتحدثون ويقولون "نحن في حاجة إلى جمال عبد الناصر جديد" مع أن القرآن الكريم يقول ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ فعلينا أن نتغير نحن حتى تتغير الأمور، لكن مسألة الانتظار هو أننا في جانب ننتظر صلاح الدين وفي الجانب الآخر ننتظر عبد الناصر، فسبحان الله هل نريد أن تنخسف الأرض وتخرج الجنود وتسقط أمريكا كما سقط الاتحاد السوفيتي ونحن على مقاعد المتفرجين؟ فقد كثرت المقالات بأن أمريكا هي الساقط القادم. فنحن ننتظر دون أن نفعل شيئاً، تحولنا إلى كائنات تنتظر المعجزات، مع أن عصر المعجزات قد ولى بوفاة آخر المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. عملية الانتظار مرفوضة وأنا أحاول أن أدرسها اجتماعياً لكي أعرف لماذا وصل الإنسان المسلم

مرحلة من اليأس جعلته يفقد الثقة بالنفس، لماذا؟ لأن تاريخ ثقافة القمع قد تحدد باسم الدين، وهو منها براء وتوظيف مقولات معينة بتفاسير خاطئة أوصلتنا لهذه الدرجة.

*****

الأدب والوظيفة الأخلاقية

س: ننتقل إلى بُعد آخر، وهو الجزء الخاص بالأدب والرواية، وأسألك يا د. تركي هل للأدب وظيفة أخلاقية؟

ج: بشكل غير مباشر نعم.

س: هلا ضربت لنا مثلاً؟

ج: عندما تكتب رواية فإنها تعكس صورة من الحياة، فأنت تأخذ الرواية على أنها نوع من حياة معينة، وعند قراءتها تستمتع بها وتتفاعل معها، وفي النهاية هناك هدف معين من الرواية، وأنت تستنبط وتستلهم هذا الهدف، وهو الهدف الأخلاقي للعمل الأدبي.

س: يتهمك خصومك بأن نتاجك الأدبي ربما كان هادماً للأخلاق فما هو تعليقك؟

ج: أقول لك إنك لو أردت أن تحكم على حياة أحدهم منذ الولادة وحتى الوفاة فإنك تحكم عليها بمجملها وليس بأجزاء، فهو يكون قد ولد وتعلم وقد يصبح ملحداً في مرحلة من حياته، وقد يكون فاسقاً في مرحلة معينة، ويصبح مؤمناً في مرحلة ثالثة، فأنا أنظر لحياته منذ ولادته وحتى وفاته ثم آخذ الحكم. وهاك مثالاً على ذلك: مصطفى محمود، فلو حكمت عليه بكتابه "الله والإنسان" فهو ملحد، ومن ناحية أخرى لو أخذت فقرات معينة من حياة شخص وعزلتها عما سبق وعما لحق فماذا يكون في هذه الحالة؟ لو أخذنا فقرات من كتاب "حوار مع

صديقي الملحد" لمصطفى محمود وعزلتها عما قبل وما بعد فما الذي يجري؟ يكون الكلام قد فقد معناه، والقرآن الكريم كذلك، فقد يقرأ أحدهم "يد الله مغلولة" فهل تقول له إنه كذاب. أنا لا أقول إن يد الله مغلولة لكن الآية قُرِأت هكذا لأنها فُصِلت عن "قالت اليهود".

نأتي للرواية، فيجب أن نأخذها من أول حرف لآخر حرف. نقرؤها على أنها عمل أدبي كامل، ونستلهم النتيجة من أبطال القصة وأحداثها وكيف انتهوا، وما هي الحكمة التي استنبطها من سيرة هذا البطل، وفي الوقت نفسه لا نقوم بعمل اختزالي ونأخذ فقرة من هنا وأخرى من هناك خلال هذه المرحلة وخلال تلك المرحلة. في هذه الحالة أكون قد حكمت على إنسان منذ ولادته وحتى وفاته خلال فترات معينة، وأكون قد حكمت على د. مصطفى محمود بالكفر لكتابه "الله والإنسان"، وفقرات من كتابه "حوار مع صديقي الملحد"؛ فالهدف الأخلاقي يُقرأ ضمناً وليس بالضرورة أن يكون الهدف الأخلاقي مباشراً في صورة رأي أو إرشاد؛ لأنه في هذه الحالة لا يكون عملاً أدبياً. الحكمة تُستنبط وكذلك الهدف الأخلاقي من خلال العمل ككل بالرغم مما قد يكون فيه من ألفاظ فهو كالحياة. تمشي في الشارع، وربما تسمع كلاماً بذيئاً. فالله لم يخلقنا ملائكة. العمل الأدبي بهذا الشكل.

س: لعلي أفهم من كلامك أنك مع توظيف مفردات الجنس والعبث والمجون في الرواية إذا كان يؤدي في السياق النهائي إلى قضايا أخلاقية؟

ج: إذا كان الهدف الأخلاقي سامياً والرواية تعبِّر عن الحياة فيجب أن تكون معبِّرة عنها فعلاً، وإلا لما أصبحت عملاً أدبياً. عندما أكتب رواية يجب أن تعبِّر عن الواقع، أما إذا أردنا لها أن تكون إرشادية أو بحثية فهناك مجالات أخرى، إذا وهبت نفسي للرواية فإما أكتبه كما هو معاش وإلا فلا داعي لكتابتها، فهي كالحياة مليئة بالخير والشر، وأشياء كثيرة يجب أن تعكسها الرواية حتى تستطيع

أن تستنبط الهدف، حياة الصحابة أنفسهم فيها هنَّات وهنَّات قبل أن يسلموا، فهل أحكم عليهم من خلال هذه الهنَّات أم من خلال مجمل حياتهم السامية؟ هذا هو السؤال.

س: هل كان الجنس في رواياتك ضرورة يقتضيها السرد أم وسيلة للترويج للرواية على غرار إحسان عبد القدوس ويوسف إدريس، نريد توضيحاً فقد كثُر اللغط؟

ج: الرواية التي يتحدثون عنها وهي " الثلاثية " تقع في حوالي ٩٠٠ صفحة. الوصف الجنسي الكامل فيها لا يتجاوز عدّة صفحات، وكان الهدف من الوصف الجنسي هو وصف الانفعالات لأول تجربة في حياة هذا الفتى العابر. مشاعر إنسانية وكان ذلك ضرورياً ولم يحدث تقريباً بعد ذلك، فكل هذا يأتي في صورة عابرة ولم يحدث تقريباً بعد ذلك، فما الذي حدث للعابر بعد ذلك؟ كان في البداية شاب صغير يركب القطار، وفي نهاية الرواية بدأ الشيب يتخلل شعره ولكن وصفه ليس كما تم في البداية، فلو وضعنا الرواية بشكل وعظ فلن يقرأها أحد؛ فأنا أخذت على نفسي أن أكتب الرواية كما يجب أو لا أكتبها، ثم إذا كان الجنس بهذه الخطورة فيما كتبت حبذا لو صادرت أربع أخماس ما أنتجته الحضارة العربية من أدب في نثره وشعره.

س: أسألك السؤال التقليدي، هل هشام العابر هو د. تركي الحمد؟

ج: صدقني لا، وعلى أية حال لا أقول إلا أننا كلنا بشر، وكما قال السيد المسيح "من كانت نفسه بلا خطيئة فليرجمها بأول حجر" فكلنا خطاؤون وخير الخطائين التوابون، ولو كان هشام العابر هو تركي الحمد لكتبت عليها "سيرة ذاتية" لكنه لم يكن البطل يأخذ كثيراً من المؤلف مثل بعض الأحاسيس، لكن ليس هو بالضرورة، فهو مجموعة من الشخصيات قد يكون المؤلف أحدها.

*****

تركي الحمد وهشام العابر

س: قيل في بداية ظهور هذه الرواية إنك صرَّحت أن الشخصية الفاعلة في الرواية "هشام العابر" تمثِّل تركي الحمد، ولكن بعد الصخب الذي أحدثته الرواية تداركت وقلت كما تقول الآن، فهل ذلك تراجع أم حيطة أم ماذا؟

ج: أساساً السؤال خطأ، فعندما سُئلت هذا السؤال منذ ظهور الرواية وإلى الآن كنت أقول فيه الكثير مني ولكنه ليس أنا ولم يسبق لي أن صرَّحت بأنه أنا.

س: كتب د. تركي الحمد الرواية في سن متأخرة وبعد أن كان أكاديمياً يعني بتخصصه وأبحاثه، فما هي دوافعه لكتابتها وهل هو راضٍ عما أصدره منها؟

ج: عندما دخلت مجال الكتابة الصحفية قالوا لي: إنك قد دخلت متأخراً فلماذا؟ ودائماً أُسأل هذا السؤال فأقول: ولم لا؟ أي أنه ليس مهماً متى بدأت بل المهم أن نحكم على العمل وليس على الشخص، جان جاك روسو وهربرت سبنسر لم يكتبا حتى تجاوزا الأربعين، وفي ثقافتنا العربية دائماً نصف سن الأربعين بالنضج وبلوغ الأشد.

س: دعني ألتف على الإجابة وأعيد السؤال بطريقة أخرى، كتب د. تركي الرواية في سن متأخرة ليصدر ثلاث روايات متتالية، أين حذر المفكر في تلمسه لخطاه؟ أليس ما قام به تركي الحمد جرأة لا يُقدم عليها إلا الذين صقلتهم تجربة الكتابة الروائية؟

ج: وما أدراك أنني لم أكتب؟ فهذا هو ما نُشر وليس بالضرورة أن يكون كل ما كتبته منشوراً، ولنفرض أن هذا الكلام صحيح فأمامك عمل عليك أن تحكم عليه بما شئت ولكن لا تُدخل الأشياء مع بعضها كما تكلمنا في البداية. كل جمهور له خطاب، وكل فكرة لها تعبير يناسبها، فأنا لا أستطيع أن أقول في بحث ما أقوله في رواية أو مقالة، وبالتالي تختلف الأمور.

لنفصل بين هذه الأشياء، البحث يحتاج لتخصص، وهذه الأشياء أشعر أنني أريد أن أكتبها وفعلاً كتبتها، فهل هي جيدة أم سيئة؟ هذا متروك للقارئ.

نص إبداعي أم تقارير

س: هناك مقولة تقول: إن د. تركي الحمد يكتب تقارير سياسية وليست نصاً إبداعياً معيناً، ونجاحه ليس لفنياته إنما لقدرته على الحديث عما لم يتم الحديث عنه من قبل، فما هو تعليقك؟

ج: هذا رأي أسمعه للمرة الأولى، وما دام هناك نجاح فهذا شيء طيب والحمد لله.

س: أليس فيها تقارير سياسية وأن النجاح يرتكز بالدرجة الأولى على أنك كتبت ما لم يُكتب؟

ج: ولماذا لم يفعل غيري ذلك إذا كانت القضية بهذا الشكل فقط، وإذا كان هذا هو سر النجاح؟ قال بعض النقاد: إن رواياتي ليس بها بناء روائي، وأنا عندما أكتب سواء رواية أو كتابة صحفية أو مقالات لا أكتب للنقاد أو للذين مهنتهم أن يتكلموا عن الكلام، فأنا أكتب للناس، وإن وجد ما أكتبه صدى فالحمد لله، وإن لم يجد فأيضاً الحمد لله.

س: تجربة الحمد في الأحزاب السياسية كانت في أواخر الدراسة الثانوية فهل بإمكانه أن يكون شاهداً عليها وقادراً على التأريخ لها والكتابة عنها وهو في تلك السن المبكرة، وفي ذلك الوضع البسيط من التركيبة الحزبية؟

ج: أنا لم أكتب تاريخاً وإنما كتبت رواية. عندما تؤرخ فهناك آليات معينة لكتابة التاريخ، لكن الرواية يختلط فيها الموضوعي مع الذاتي، أي الوضع كما أراه أو كنت أراه. هذه الرواية قد لا أتفق فيها مع رؤية شخص آخر. أنا لا أؤرخ ولكني أكتب انطباعات ذاتية في ظروف موضوعية معينة وضعتها على شكل رواية.

س: إلى من يقدِّم د. تركي الحمد صك اعتماده وقبول أوراقه في كتابته تلك التي لا تجعل الحركات السياسية في الستينيات غير انفعالات لمجموعة من المخمورين المحبطين والمتوترين؟

ج: لم أُعمم بذلك، بل كانت رواية عن حالة معينة لم يكن القصد منها الدراسة العلمية؟ ثم لمن أقدم أوراق اعتمادي فالسؤال غريب.

س: لعله يقصد الهدف الخفي من وراء هذه الكتابات؟

ج: من أزمة القارئ والمثقف عندنا أنه دائماً يتصور أن هناك هدفاً خفياً، ليس هناك هدف خفي، وليس لدي أوراق اعتماد كي أقدمها لأحد، ثم لماذا البحث عن هدف خفي لأي شيء؟ أمامك عمل معين فاحكم عليه دون حاجة إلى البحث عن هدف لا يعرفه أحد.

س: تقول في لقاء لك مع جريدة اليوم عندما سُئلت عن رواياتك وهل هي سيرة ذاتية " إنها ليست سيرة ذاتية بل فيها الكثير مني، فالبطل أنا من صنعه وأنا من وضع له العواطف والتجارب " ألا ترى أن هذا تلاعباً بالألفاظ، وإذا كان العابر فيه الكثير منك فهل أنت تؤمن فعلاً بكل ما وضعته على لسانه وهل تؤيد سلوكه؟

ج: أنت تعيش في هذا العالم المليء بأشياء تتعايش معك. في مدينة جدة أو مدينة الدمام التي أعيش فيها، هل تعتقد أن كل الناس فاضلون ولا يمارسون أي شيء خارج إطار الفضيلة؟ هل تستطيع أن تمنع هذه الممارسات منعاً باتاً؟ فهذه هي الحياة، والرواية كذلك، لكن كوني أتفق معها أو لا أتفق فتلك مسألة أخرى ليست بالضرورة.

*****

الغذامي والحمد

س: قال الغذامي عنك في مجلة الحدث الكويتية ما معناه أن تركي الحمد لو جلس عمره كله لن يكتب رواية جيدة، ولن يكون روائياً حقيقياً فما هو تعليقك؟

ج: عبد الله الغذامي إذا لم يعجبه المتنبي أو نزار قباني، هل تعتقد أنه سيعجبه تركي الحمد؟ وعلى أي حال سبق أن قلت إنني لا أكتب لأهل النقد.

س: رواياتك الثلاث (العدامة، الشميسي، الكراديب) أهي سرد للواقع في فترة معينة أم هي خيال إبداعي أريد به مناقشة أفكار ظهرت في الفترة الزمنية التي أُلِّفت فيها ولا يزال بعضها مطروحاً إلى اليوم أم ماذا؟

ج: كلها من نوع التاريخ الذاتي.

س: قلَّدت في رواياتك القاص الإيطالي ألبرتو مورافيا المشهور برواياته الجنسية الفاضحة، وصوَّرت المجتمع السعودي بشكل خاص بصورة شاذة غريبة فكرياً وخُلُقياً، فهل أعوزك فكرك واختيارك هذه النماذج الشاذة؟

ج: ولماذا تعتبر ما يجري في المجتمع حالة شاذة؟ فأنا وصفته كما هو بخيره وشره، ولماذا تنتقي الأشياء فتأخذ ما تشاء وتترك ما تشاء؟ أكثر من ٩٠٠ صفحة لا تجد انتقادات عليها إلا بضع صفحات محددة، أما الباقي فهو وصف للعادات والتقاليد والحياة في ذلك الزمان بما فيها من الحركات السياسية وتفاعلات الشباب وانفعالاتهم. الغريب أن كل ذلك يُنسى وتُؤخذ أشياء معينة مثل لماذا تقول إن هذا المجتمع أو ذاك شاذ؟ لماذا تقول أنت ذلك؟ المجتمع في أي مكان فيه الأبيض وفيه الأسود، وفيه الطيب والشرير، ولو لم يكن كذلك لما كان مجتمعاً، والله سبحانه وتعالى خلقنا بشر لكي نخطئ ونصيب، الشذوذ هو أن نفترض الكمال في ما لا كمال فيه.

*****

الثلاثية والنقد

س: نال عملك الروائي الأول "أطياف الأزقة المهجورة" انتشاراً كبيراً بسبب ما لقيه من حملات نقدية عنيفة سواء من التيار الإسلامي الذي رأى فيه ما يخل بالدين ويمس المقدسات والمبادئ الإسلامية أو حتى من بعض النقاد الأدبيين الذين لمزوه بالضعف الفني وكأنه مجرد (ماجريات) كُتبت بأسلوب مثير (مراهق) على حد تعبيرهم فما رأيك؟

ج: رأيي في انتشار العمل أم الانتقاد؟

س: في الاثنين وأن العمل لم ينتشر إلا نتيجة انتقاده؟

ج: ليس بالضرورة، فالنقاد لم يكتبوا عن العمل إلا بعد انتشاره، وكذلك الذين انتقدوه من جوانب دينية، فعندما انتشر العمل انتُقِد وليس قبل ذلك. كان نجاح العمل سبباً في انتقاده وليس العكس.

*****

الوليمة مرة أخرى

س: تلت الهجمة على ثلاثية (أطياف الأزقة المهجورة) هجمات أخرى على أعمال روائية هنا وهناك مثل "وليمة لأعشاب البحر" لحيدر و"صنعاء مدينة مفتوحة" وغيرهما وكأن ملف الرواية قد فُتِح مجدداً فما هي أبعاد هذه القضية؟

ج: في المقام الأول أُرجع الأمر إلى مناورات سياسية وحزبية معينة، فرواية وليمة لأعشاب البحر وبغض النظر عن مضمونها نُشرت للمرة الأولى كما نعلم عام ١٩٨٣م وحتى عام ٢٠٠٠م لم يتحدث عنها أحد، ولم يُطبع منها الكثير، حتى إن بعض المثقفين كانت الرواية عندهم ولم يقرؤوها إلا بعد أن ثارت الضجة، وصنعاء مدينة مفتوحة كُتبت منذ أكثر من ربع قرن وصاحبها ميت.

ثارت الضجة أول ما ثارت في مصر بعد أن جاء حزب الأحرار وأثار القضية من جوانب سياسية، وخرجت الجماهير ولا أقول استثارة لدينها فهذا صحيح لكن أول من خرج أُناس يعانون من مشاكل اقتصادية استغلتها أحزاب سياسية وغطتها بغطاء ديني، فخرجت الجماهير للشارع، فكانت مناورات سياسية، والدليل أنها اختفت بمثل ما بدأت بشكل أو بآخر. الشيء الثاني في سوريا حيث الرواية لم نسمع بشيء، فهذا يدل على أنه في كثير من الأحيان السياسة تجعل من الحبة قبة كما يقولون، أما مسألة أن الرواية بذيئة فأقول: إن البذاءة موجودة في كل مكان في الشارع، فالغرض في النهاية هو غرض سياسي.

س: لماذا تعتبر الأمر غرضاً سياسياً وليس غيرة لدينهم؟

ج: لأنني اشتريت الرواية من مصر حيث خرجت الجماهير في عام ١٩٨٣م وكانت تُباع في كل المكتبات، وعندما ثارت عليها الضجة سُحِبَت من المكتبات وصارت تُباع بأعلى الأسعار حيث لاقت انتشاراً أكبر. من عام ١٩٨٣م وحتى الآن ألم تُقرأ الرواية؟ هنا يفكر الإنسان تفكيراً معيناً. أنا أتحدث عن هذه الفترة وهي ١٧ عاماً حيث لم تثر هذه القضية إلا في عام ٢٠٠٠م. بالإضافة لذلك انتهت الآن المظاهرات والرواية تُباع في مصر في أماكن معينة، وهذا هو ما دعاني للقول بأن الأمر مجرد مناورة سياسية. أما تلك الضجة في صنعاء فقل لي بربك لماذا فُتح ملفها اليوم بعد مرور كل تلك السنين وبعد موت صاحبها؟ لا تحاول أن تقنعني بأن ذلك مرده غيرة دينية بحتة، فأنا أشك في ذلك. هي أغراض خاصة ودوافع ذاتية أولاً وأخيراً وإن كانت العامة لا تدرك ذلك للأسف.

*****

نصوص مصادمة

س: هناك بعض النصوص التي توهم قارئ رواياتك بأنه ثمة مصادمات لمعتقدات المجتمع، هلاّ أوضحت وجهة نظرك في إيرادك لهذه النصوص فربما حكم بعضهم عليك بسببها؟

ج: في أي عمل أدبي عندما تأخذ أي جملة ليس القصد هو التقليل أو الاستهزاء وإنما نقد لحالة اجتماعية، وقد قيلت جملٌ من ذلك عندما كان البطل يجلس لامتحانات التوجيهية وبدأ كثير من الطلبة في الصلاة والدعاء ولم يكونوا يفعلون ذلك سابقاً، فتلك الجمل نص أدبي يمجد الله في جوهره وليس عقائدياً وتنتقد مبدأ اللجوء لله فقط وقت الحاجة والبُعد عنه في بقية الأوقات. أشياء أخرى كثيرة حدثت وقت الأزمة، تصور حالته النفسية واحكم عليها.

هذا هو الحكم الصحيح للنص الأدبي أما كونه في حالة نفسية معينة قد تجعله يهذي بأشياء كثيرة وعند خروجه من السجن قد يتراجع أو قد تلجئه حالته النفسية لأشياء أخرى، عندما تزور مثلاً مستشفى للأمراض النفسية فانظر بماذا يهذون؟ لا شك أنهم يهذون بأشياء كثيرة، فهل نقول عنهم مرتدون؟ بالطبع لا، فالعمل الأدبي يصوِّر هذه الأشياء ولكن ليس من الضرورة أن يؤمن بها، كما لا تُؤخذ هذه الكلمات التي أدلى بها في حالة الأزمة فقط، بل يؤخذ العمل الأدبي ككل، ومن ثم يكون الحكم، فمسألة الاستهزاء بالذات الإلهية ليست صحيحة؛ فهذا تصوير أدبي لشخص في وضع معين وليس حكماً أو إيماناً بظاهر النص، وكما قلت في السابق، تعامل مع النص الأدبي ككل متكامل ولا تتعامل معه كجملة مختزنة من هنا أو هناك، وعلى أي حال.

س: ولكن بعضهم اعتبرها يا دكتور نوعاً من إشاعة الفاحشة التي نهانا الله عز وجل؟

ج: ما هي الفاحشة هنا؟

س: توظيف هذه المفردات الجنسية التي وردت في الرواية؟

ج: يا سلام... يا سيدي الفاضل أي إشاعة فاحشة عندما تنظر لما تحت الأرض وتجد ما هو أعظم من ذلك؟ هل من المعقول أن تكون روايات تركي الحمد هي التي تشيع الفاحشة في المجتمع بكامله؟ دعني أقول لك نقطة معينة. المجتمع إذا كان قوياً فإن مدافع الدنيا كلها لا تقدر عليه، أما إذا كان مهزوزاً وهشاً فمقالة واحدة يمكن أن تخربه بشكل أو بآخر، وكما ذكرت فقد صار لنا حوالي ١٤٠٠ سنة أو أكثر والإسلام لا زال قوياً فكيف أخاف من رواية أو غيرها؟ فالعلة ليست فيما يكتبه تركي الحمد إنما العلة في خوف الآخرين وعدم ثقتهم بأنفسهم بصراحة، فالغرب مثلاً قوي وهو سيد عالم اليوم بالرغم من معرفتنا لكل ما فيه من سلبيات.

س: سألك أحد الحضور في إحدى محاضراتك وقال: (أنا رجل عامي وأريد جوابك بصراحة) لو اطَّلع النبي صلى الله عليه وسلم على رواياتك هذه فهل سيقبلها ويرضى عنها؟ ونحن بدورنا نطرح عليك هذا السؤال؟

ج: سيكون أرحب صدراً من هذا السائل وأكثر تسامحاً وهو الذي استمع لقصيدة كعب بن زهير في المسجد "بانت سعاد" وهي المليئة بالغزل ووصف للحبيبة ولم ير بأساً في ذلك، وهو الذي كان يستمع لمشاكل النساء الجنسية ويحلها ولا يرى ذلك خطيئة. هذا هو الرسول عليه الصلاة والسلام التسامح هو عنوان رسالته. ماذا فعل بأهل مكة؟ هل انتقم منهم عندما دخلها فاتحاً؟ ماذا قال لهم؟ قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء بالرغم من كل ما فُعِل به. ماذا فعل الرسول عليه الصلاة والسلام للأعرابي الذي تبوَّل في المسجد؟ مسح بوله وانتهى الأمر. الرسول عليه الصلاة والسلام عندما جاء أول الأمر وكانت هناك صاحبات الرايات الحمراء حول المدينة فماذا فعل؟ هل طردهم فوراً؟ لم يفعل ذلك بشكل مباشر بل بالتدريج. الرسول عليه الصلاة والسلام كيف كان يتعامل مع أصحابه؟ الشيء الآخر الذي أركز عليه دائماً هو أن بعضهم يأخذون من الإسلام ما يريدون ويتركون الأهم. عشر سنوات كان الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة فكم يداً قطع وكم زانياً وزانيةً رجم؟ وكم مخموراً جلد؟ فأنا لا أعرف غير حكاية ماعز والغامدية، فلا تنس أننا نتحدث عن مجتمع حديث بالإسلام، ولا تقل لي إنه كان مجتمع الفضيلة بالرغم من تسليمي بأنهم كانوا فاضلين، لكن كانت هناك أشياء أخرى. كان الرسول عليه الصلاة والسلام يطبق الإسلام بروحه. في السرقة لا تقطع يد السارق إلا بتوفر شروط صعبة ومعينة، ولا أقول إن عمر بن الخطاب عطَّل حد السرقة ولكن لم تتوفر شروط تطبيق حد السرقة في عام الرمادة، وعندما تقول ماذا سيفعل الرسول عليه الصلاة والسلام أقول لك سيكون صدره أكبر وأرحب؛ لأنه تعامل مع الحياة ومتناقضاتها بما هو أكبر من ذلك واستطاع

أن يستوعبها. ليس بهذه الطرق إنما بطرق أكثر تسامحاً، وسيقرؤها الرسول عليه الصلاة والسلام ولن يقول لي أكثر من "غفر الله لك".

*****

نظرية المؤامرة

س: في محاوراتك لبعض الكُتَّاب الإسلاميين نراك تنتقد فيهم نظرية المؤامرة، ولكنك متهم في المقابل بنفس ما تنتقده من الاتهام بالمؤامرة حيث النقد مُنصبّاً على نتاجك وبالتحديد ما حظي بردود أفعال مختلفة فما صحة هذا الاتهام؟

ج: ما هو الاتهام؟

س: هو قولك أنهم متآمرون عليك.

ج: أنا لا أتهم أحداً بالتآمر، ولم أقل ذلك في يوم من الأيام.

س: دعنا نتهمك، فأنت متهم بالتهرب من ناقديك وفتح المزيد من جبهات النقاش الحاد والصراع من خلال هذا التجاهل فما تعليقك؟

ج: إذا تابعت كل من يتكلم فلن تجد الوقت الكافي لعمل أي شيء. أنا كما كتبت عدة مرات فأنا أكتب كلمتي، فإذا تبيَّن لي أنها الحق بقيت عليه وإذا تبيَّن لي غير ذلك تجنبته وغيَّرت رأيي، بكل بساطة.

س: هل تستطيع أن تجد لك جذوراً في تراثنا وحضارتنا؟ إنتاجك وتاريخك يشهد بغير ذلك؟

ج: أنت تسأل وتحكم هنا، ولا أعتقد أن ذلك من الموضوعية في شيء؛ وعلى أي حال أقول طبعاً، فكما قلت لك الهوية ممارسة وأنا الآن امتداد لأكثر من ١٠٠٠ عام، وبالتالي حتى إذا أردت أن تتملص من تراثك وذهبت للخارج وعشت في بلد غربي وبقيت هناك فستبقى عربياً مهما حاولت، وبالتالي تراثنا وماضينا هذا

إلى حد كبير ممتزج فينا امتزاج الشاي بالماء، ولا يستطيع أحدهم التخلص منه حتى لو أراد، ولكنا نحاول أن نتخلص مما هو سلبي منه، أما أن أحاول تغيير شكلي وسحنتي وعقلي فلن أستطيع حتى لو أردت.

س: هل من كلمة أخيرة يا د. تركي في نهاية هذه المكاشفة، وهل من رسالة لهؤلاء الذين بعثوا لك هذه الأسئلة بمختلف توجهاتهم الفكرية؟

ج: لا أقول سوى جملة واحدة، إن لم نتحمَّل بعضنا فلن يتحملنا أحد، إن لم نكن عزيزين على بعضنا فلن نكون عزيزين على أحد، وإذا لم يكن التسامح ديدننا فإننا في الخاتمة من الهالكين، أقول ذلك محذِّراً لا مهدِّداً كما قد يقرأ بعضهم مثل هذا الحديث ولله الأمر من قبل ومن بعد.

س: هل ضايقتك هذه الأسئلة يا دكتور؟

ج: لا، ولكني أقول الحمد لله كشفت لي شيئين؛ الأول إيجابي والثاني سلبي، الشيء الإيجابي هو أن مجتمعنا متابع والحمد لله، أما الشيء السلبي فهو أنها بينت لي ضيق هامش التسامح لدينا، وأكثر الذين سألوا يدعون انتماءهم للتيار الإسلامي لكنهم يفتقدون لفضيلة إسلامية مهمة جداً هي التسامح الذي وجدته ضيقاً جداً. وكما ذكرت فإن الشيء الإيجابي هو هذه المتابعة الجيدة لكل ما يُكتب.

*****